عبرة الغد في ابعاد الماضي

✡

يقف الفرد الانساني من حياته العملية موقف الاجتراء فيستبد بوعيه العاقل استبدادا استثناريا تتغلب فيه الميول الشهوية على الاستعدادات الصالحة التي تختنق في قلبه ، هـاتف العقل الرادع ، وتتحول بهذا الاجتراح الى صور محيرة تتنازع فيهـا عوامل الاقدام ، والاحجام . على ان ــ ضراوة النزعة والغرائز هي التي يقدر لها الانتصار ، فان كان الاصل قويا كان (الانضباط) اقوى وان كان الجذر ضعيفاً حلت في عزمة الحي ثلمة راعنة تنخر فيها الحشرات .

ان عمل الغريزة يقاس على ماضي النفس في التعبير عن احوالها المتواثبة اكثر مما يقاس على حاضرها وغدها، ولذلك كان الاستقصاء الحقيقي لتصرفات الفرد والجماعة نتيجة الرجوع الى متروكات الاحداث الواقعة ذات الوجه المتهارىء في مرضاة التقليد والوراثات ، ومـا من رجل يقدم على التفكير بشيء الا وكان تفكيره مؤسساً على الفوت العابر ، والافرات العـابرة هي الكل الذي ينمو عليه البعض وهي التصميم الثابت لبنـاء الغد ، فاذا فسد فيها اتجاه ما ، عبثت بمستقبل المرىء ارادة سيئة وهوى متفسخ تتزاحم فيه الحقارات .

وليس في (كوثراء) النوع في الانسان، واللون في صورة النفس ، ما يقرر احداثها وخلقها في الحاضر الوجودي ، لأن كل ابداع وانشاء وتركيب يتطلب تصوراً ذهنيا في عنصر العاقل ، والصور الذهنية تكون وليدة اختبارات ومهيئات يذوب فيها الزمن كمـا تذوب الانوار في العتمة ، فالحادث الطارىء هو عمل الاعتزام السابق ، وبدون التصور لا يتم العمل ، لان الطبيعة تتوافق مع طبع الموجود فتكون له مهيئة ــ ويكون لها في اتاوته كالعامل المباشر الذي يعقل ويُعقل في تناسخ الاشياء .

فنحن ــ بناء على هذا الاعتبار ــ نعيش على الوراثة ، وتنمو خصائصنا على التقليد في كل شيء ، وتختلف الوراثة في نوعها اختلاف التقليد في لونه ، كلاهما يقرر مذهبا خاصـا في التوجيه والتبديل ، وللوراثة والتقليد اثرهما الظاهر في حياة كل فرد في الجمعية الانسانية .

اما ان يخرج الفرد على تقليده وغرائزه بتجرده منها جميعا ، فتلك ظاهرة نادرة يتوقف نجاحها على مقدار قوتها في الارادة والتفكير والاستعداد ، وعلى قبول الجماعة العاقلة لها ، ولقد كانت جميع التقاليد والوراثات ظواهر عملية انبثقت من جرأة الفرد فغدت بذلك طريقة يتبعها المحبذون ، وكم من اعمـال فريدة واعية ماتت بولادتها لانها لم تتدرج في الطبائع المعارضة لها . . .

ان الشعب الذي يعتمد على تاريخه الناطق في حمله عبرة المـاضي لتأسيس قواعد الغد ، هو الشعب الذي يقدر له الفوز ، وعندما انقطع البيت العربي عن تاريخه بقبوله افكاراً دخيلة كانت سببا لتهديمه ، قطعت بينه وبين القوة والذاتية والحرية والرقي . . صلة اجتماعية ، كانت واسطة لبناء جدران غيره من الذين اعتمدوا على تاريخهم اعتماد الفخر والاعتزاز .

ايها العرب ان في الاعتماد على ماضيكم والرجوع اليه ظاهرة رجوعكم الى المجد والسلطان ، فان قطعتم الماضي قطعكم المستقبل . . .

ديبورده ــ مشغره　　　　　　　　　　عبدالله بري

عود الى اتسفايج ٢

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

كان مفرط الطول، ضارع البدن، ممسك الحركات، قد هصرت قامته القاسية الساعات الطوال يقضيها في جلد غريب امام مكتبه الهزيل العامر بالاسفار والاوراق. وكان على وجهه نفحات العلة، وفي قسماته الدقيقة شحوب رفاف، ومن عينيه الزرقاوين الوضاءتين ينطلق نور وضاح فيه رقة وفيه صفاء. وكان ملء العين متصل المجهود لا يكاد يقطعه الا بعزف رقيق يسترق فيه الانغام من انامل البيان في توجد وحنان واتصال بارواح أولئك المبدعين لعوالم الموسيقى اللانهائية والذين كان اعلم الناس بدقائق فنهم: فهما وتذوقاً وتاريخاً. وهل عرفت الموسيقى ذواقة عالماً مثل رومان رولان! وما دامت الموسيقى اللغة الصوتية الواعية الوحيدة، فهل كان عجباً بعد، ان يكون اكبر مبشر في عصره بالاخاء والسلام ؟! لهذا قضى عمره فوق الحدود وفوق القيود، فوق الاحقاد والاضداد، «فوق النضال» كما قال، لم يكد يتخلف عن رسالة الانسانية هذه، رسالة التوحيد التي توسم فيها رسالة الفن الخالدة.

وتلك نوازع بينها وبين مزاج اتسفايج اقوى وشائج القربى. فما ان اكتشفه وهو يقرأ له سفر «الفجر» من اسفار «جان كرستوف» — هذه الرائعة الضخمة التي حاول فيها رولان ان يحقق غاية ذات ثلاث شعب: ايمانه وعرفانه بجميل الموسيقى، وايمانه بوحدة اوربا، ونداءه الى الامم كيما يستيقظ ضميرها وشعورها — نقول ما ان اكتشفه ابان اقامته بايطاليا حتى كان اول عمل قام به حينما ارتحل الى باريس ان يسعى لزيارة هذا القديس الاديب. وها هو ذا يرقى الدرجات الخمس الملتوية لمنزله المتواضع قرب بوليفار مونبارناس، في هدوء الحي الجامع بين سكون الدير العتيق وصخب الملهى الانيق. فكان اللقاء الاول بين هذين الداعيين الى الصفاء والاخاء، وكان حديث تبادلا فيه الآراء عن مصير اوربا التي كانت تتهددها آنذاك العاصفة الهوجاء التي ستقلب كيانها بعد حين: فقوى الكراهية تحتشد وتكشر عن انيابها الزرقاء، والمنافع المادية تفغر افواهها الوحشية تريد ان تلتهم كل ما في طريقها، فان نيفاً واربعين سنة من السلام كانت كافية لاحداث تضخم مادي ونفسي هائل في شعوب اوربا، وان من شأن هذه القوى وقد جاوزت كل طاقتها ان تفيض بالشر على غيرها، فلم يكن بد من انفجار بركان الاحقاد والمطامع والنزوات المتكالبة على التحطيم. فعلى الرغم من كل المظاهر الثقافية التي سعت جهدها لصد هذا التيار المنذر بالدمار — وما اعجز الفن امام قوى المطامع الدنيا هؤلاء! — لم يزد النعيم الذي تقلب الناس في احضانه ذلك العهد الطويل هؤلاء الشعوب الا بطراً ووحشية. فالشعوب بطبعها لئيمة، وحذار من صولة اللئيم اذا شبع.

لكن كان لا يزال ثمت في نفوس نفر من المفكرين الحالمين سؤار من حسن الظن ببني الانسان. فلم يرتاعوا لما ان وقعت الواقعة، خافضة رافعة، رجت الارض رجاً حتى كادت تكون هباء منبثاً وانقسمت على نفسها الى معسكرين: اصحاب الميمنة، واصحاب المشئمة، وان كان كل فريق يزعم في نفسه دون الآخر انه من اصحاب الميمنة، وخصمه من اصحاب المشئمة. وكانت لا تزال في اولئك المفكرين بقية من شجاعة تجعلهم يجابهون كل قوى الشر ويتحدونها، بعكس ما ظهر ابان هذه الواقعة الاشد من الاولى هولا: واقعة الحرب العالمية الثانية، من جبن وخيانة فشاهدنا اولئك الدعاة الى الاخاء يقبعون في عقر خورهم، ماذا اقول! بل ان منهم لفريقاً خان الامانة فدخل في المعركة مسخراً الخدمة فريق دون فريق. ولن يغتفر التاريخ لامثال برتراند رسل هذه الخيانة. فما ابعد الفارق بين موقفه في هذه الحرب الثانية وموقفه في الحرب الاولى! لكنها القوى الشعبية المدمرة بطبعها هي التي ادت الى هذا التحول المزري الذي هو علامة صادقة على الانحلال الرهيب الذي تغذ الحضارة الاوربية في سيرها اليه.

كان اذن ثمت شجاعة وحرية. فقام فريق من الداعين الى الاخوة الدولية يعلن رأيه صارخاً في وجه دعاة الكراهية. وكان على رأسهم صاحبنا اتسفايج ورومان رولان. اما اتسفايج فسرعان ما احس بواجبه بوصفه صاحب قلم وعنده موهبة الالفاظ، وواجب التعبير عن معتقداته. فكتب مقالا بعنوان «الى الاصدقاء في الخارج» اعلن فيه انه يظل مخلصاً لهم على الرغم من انقطاع كل صلة بينهم وبينه، اخلاصاً ييسر لهم جميعاً ان يستأنفوا جهادهم في

اللحظة المناسبة لاعادة بناء الحضارة الاوربية . وارسل المقال لاوسع الصحف الالمانية انتشاراً في ذلك الحين (خريف سنة ١٩١٤) وهي صحيفة برلين (« برلينر تاجبلت ») التي لم تتردد في نشرها بتمامها (فلم تحذف منها الا عبارة : « اياً من كان المنتصر ») مع موافقة الرقابة على الصحف ، مما اثار دهشة اتسفايج نفسه ، ومما لا تصدقه مطلقاً بالنسبة الى هذه الحرب الاخيرة – وهو ما يدل على انه كان لا يزال ثمة حشاشة حرية تتردد في نفوس الناس في ذلك الحين .

وبعد اسبوعين وصلته رسالة عليها طابع بريد سويسري وسمحت بها الرقابة النمساوية كتبها اليه رومان رولان وقال فيها رداً على مقاله من غير شك : « كلا لن اتخلى عن اصدقائي » . وكانت هذه الرسالة ، كما قال اتسفايج ، بمثابة حمامة بيضاء انطلقت من بين مسبعة الوحوش المزمجرة المتقاتلة . فاشاع في قلب اتسفايج الثقة بنفسه اذ وجد من يشاركه ايمانه ويعلن عنه بشجاعة وصراحة وهو مالم يجده في هذا الحرب الثانية ، مما ولد في نفسه بأساً سيقضي ، الى القضاء على حياته بنفسه كما سنرى بعد حين . حقاً لقد كان رولان صبوراً فلم يتابع تلك العدوى المدمرة التي حملت معظم الكتاب على التهاجر والتنابز والتناحر ارضاء للنزوات الاجرامية للسياسيين والعسكريين في اوطانهم ، بل ارتفع بقلبه فوق هذا كله فكتب رسالته المعروفة «فوق النضال» التي حارب فيها ضد الاحقاد الفكرية بين الامم وطالب الفنانين من كل الاصقاع بالعدالة الانسانية على الرغم من كل ما يجري من معارك ، فكان لها اثرها الهائل بين الكتاب حتي اثارت خصومة . . خصومة قلمية حامية الاوار .

« وهذا هو الفارق الكريم بين الحرب العالمية الاولي والثانية : في الاولى كان لايزال للكلمات قوة ، ولم يكن قد قضي عليها بعد ، ذلك التنظيم للاكاذيب المسمى « الدعاية » وكان الناس لا يزالون يحترمون الكلمة المكتوبة وينظرون اليها بعين الاعتبار . فبينما في سنة ١٩٣٩ لم يكن لاية كلمة قالها كاتب اي اثر – للشر او للخير – ولم يحرك الشعوب كتاب او رسالة او مقال او قصيدة ولم ينفذ الى صميمها ، كان في سنة ١٩١٤ لقصيدة من ثمانية واربعين بيتاً كقصيدة لساور : «نشيد الكراهية» او بيان فارغ مثل البيان الذي اصدره الـ « ٩٣ مفكراً المانيا » ، او مقال من ثماني صفحات مثل مقال رولان : « فوق النضال » ، او قصة مثل قصة بربوس : « النار » – كان أيها يعد حادثا جللا . ذلك ان الضمير الاخلاقي للعالم لم يكن بعد قد اصابه العياء او قضي عليه كما هي حالة اليوم . فكان يثور بعنف ضد كل اكذوبة صريحة ، وكل خرق للقانون الدولي وللمعاني الانسانية ، يثور ويثور معه قوة كاملة لايمان استقر ونما طوال قرون (ص ١٨٥ – ص١٨٦)

وليس معنى هذا ان هذه الصيحة التي كان قد اطلقها رومان رولان مثلاً قد لقيت الترحيب ، بل بالعكس لقيت من مواطنيه استنكاراً بشعاً فقوطع من اصدق اصدقائه ، ولم يجرؤ اصحاب المكاتب على عرض « جان كرستوف » ، وافكرت السلطات العسكرية في اتخاذ اجراءات ضده ، لولا انه كان في سويسرا ، البلد المحايد . وانما المهم ان الناس احسوا بما قال ، من ناحية ، ومن ناحية اخرى لم يزده ذلك الا شجاعة فظل يضرب الضربة تلو الضربة حتى احدث اثرها العميق في ضمائر الناس ، كما اثبت بهذا نبالة رسالة الكتاب والمفكرين واهل الفن ورفض العار الذي جلبه اولئك الذين خانوا رسالتهم تملقاً لاهواء السلطان الغاشم والقوة الزائفة وقطعان الشعوب .

وكم يحز في النفس اليوم ان تذكر ذلك الموقف الملئ بالنبل والكرامة وتقارنه بهذا الموقف المخزي الاليم الذي وقفه المفكرون العالميون خلال هذه الحرب العالمية الثانية كلها ، بل لا يزالون يقفونه وقد انقضى على انتهائها سنتان ، وليس من بينهم من يصرخ في وجه هذه الانتقامات الرهيبة المنافية لكل انسانية ولكل معنى من معاني الكرامة ! اوه ! ان موقف المفكرين في هذه الحرب الاخيرة لموقف تندى له صفحة العقل الانساني .

وليس معنى هذه الاشادة بموقف اتسفايج ورولان اننا نقرهما على نواياهما الخفية او على الصورة التي اتخذتها هذه النزعة فقد ابدينا رأينا فيه في مناسبات اخرى (راجع « هموم الشباب » ط ا ص ١٢١ ، و« الموت والعبقرية » ص ٣٣ ص ٣٤) – وانما نريد التنبيه الى مجرد اتخاذ موقف شجاع يمليه ايمان صادق في وجه كل قوى الشر المستوفزة .

ولكن لندع اتسفايج ورولان في طريقهما الى التآخي بين الشعوب ، ولندع الحرب واوزارها ، كما نعود الى اتسفايج قابعاً في عقر داره التي ستصبح في فترة ما بين الحربين « فلا في اوربا » والتي كانت تشرف على مدينة زلتسبورج بين الحدائق الغناء وتحت ظلال الاشجار السامقة ، وفي جو من الاحلام اللونية الزاهية قد عقدت عليه قبة السماء الصافية واستشرف الى الجبال المغطاة بالثلوج ناحية الجنوب ، وان كانت دفقات المطر لا تكاد تنقطع عن هذه المدينة المشهورة « بامطارها الوترية » (Schnürlregen) كما يقولون ، ولفحات رياح الجنوب – ريح الفين Föhn – تثير

الأعصاب كما تثير الغبار وتمزج الالوان على نحو غريب . وظل ملازماً هذا البيت في قلب اوربا السنوات الثلاث التي تلت الحرب وعاث فيها النمسا — الجريح المبتورة الى ابعد حد حتى صارت صورة هزلية غريبة — اشد ما عرفت من مصاعب : من تضخم نقدي ، وكراهية في الخارج لكل ما هو الماني ، واذلال لشعب ابي كان عن قريب في قمة المجد .

بيد انه — وهو المقدر عليه التشرد النبيل الموحي — لم يستطع البقاء طويلا . فعاد حافز التجوال يهدهد نفسه بعد ان استقرت بها الحال شيئاً فبدأ بالرحلات القريبة : الى ايطاليا حيث راح يطمئن قلبه على آثارها الرائعة : ميلانو بكاتدرائيتها القوطية ذات الحواشي المطرزة بالدنتلة الرائعة ، ورواقها (جاريا) العامر بالحركة ، وفينيسيا بعرجها وبزليكتها وقد ذاد عن حياضها اسد القديس مرقص . ثم الى المانيا المهيضة الجناح وقد سيطرت عليها في فتحها الاولى عصبة من الشيوعيين والاشتراكيين الديموقراطيين ، ومن بينهم فلتر راتناو الذي اصبح وزيراً للخارجية واشترك في مفاوضات ريلو المهينة لالمانيا ، فكان جزاؤه الاغتيال بايدي الوطنيين المتطرفين ، وقد كان عقلية ممتازة ، ولكن وطنيته لم تكن تخلو من المطاعن والمثالب . ويستعرض لنا اتسفايج تاريخ تلك الفترة من المانيا — مع تحيز طبيعي من مثله ، فلنمض عنه مسرعين معرضين ، لان حديثه هنا حديث موتور مستأصل ، شأنه شأن بقية ابناء طائفته . ولا يهمنا هنا الا حديثه عن حياته الشخصية والضيف الكريم الجديد الذي حل بها على غير انتظار : وهو النجاح المنقطع النظير الذي لقيته مؤلفاته في المانيا اولا ثم خارجها ، هذا النجاح الذي لم يستمر الا الى سنة ١٩٣٣ حينما تولى هتلر زمام الامور ، ففقد قراءه الالمان اجمعين اويكاد ، وما لبث ان تقهقر امام زحف اللواء ذي الصليب المعقوف في كل بلد حلها حتى لم يبق امامها غير بلاد الناطقين بالانجليزية وما اقل قراءه فيها اذا قورنوا ببقية قرائه !

وهنا يتساءل اتسفايج عن عوامل التأثير للمؤلفات في عصرها ، وعن الاسباب التي افضت الى نجاح كتبه هو . فقال انه يرجع في نهاية التحليل الى « عادتي الشخصية الرديئة ، وهي اني بطبعي قارىء غير صبور وذو مزاج . فكل اسهاب وكل تزويق ، وكل ما هو جذاب لغموضه ، وكل ما هو غامض مبهم ، وما يبطيء في مساق القصة او الترجمة لحياة ، وما هو مناقشة عقلية — كل هذا يضجرني . امـا الكتاب الذي يحتفظ بمستواه باستمرار صفحة فصفحة ويأخذ بزمام النفس ويحملها بلا نفس حتى السطر الاخير فهو الذي يملؤني متعة كاملة . . . وهذه الكراهية لكل ما هو مطنب طويل النفس قد انتقلت من قراءتي لكتب الآخرين الى كتابتي لمؤلفاتي الخاصة وعودتني على الاحتياط لنفسي . فمن هجيراي ان انتج بسهولة وانطلاق الى حد بعيد ، وفي المسودة الاولى للكتاب اطلق العنان لخيالي ولا ادع حداً لجريان قلمي ، كذلك في ترجمة الاشخاص ابداً فاستخدم كل الوثائق والتفصيلات الميسرة لي اياً كان نوعها . . . لكن في الكتاب المطبوع لا يبقى من هذا كله سطر واحد ، لاني لا اكاد ابيض الصورة الاولى التقريبية للكتاب قبل ان يبدأ عملي الحقيقي : وهو التركيز والتأليف ، وهو عمل لا اجيد القيام به اذا اجريته من صورة الى صورة اخرى . انما انا القي بالقذائف تلو القذائف باستمرار ومن غير انقطاع ، واحكم التركيب الباطن وازيده وضوحاً باستمرار فبينما كثيرون غيري لا يقدرون على توطيد انفسهم على الامساك عما يعرفون ، بنوع من التولع بكل عبارة محكمة البناء ، ويحاولون ان يظهروا من السعة والعمق اكثر مما يملكون — فأني اطمح دائماً الى ان اعرف اكثر مما يكشف لي عنه السطح (ص ٢٤٣) . وهذا التحليل البارع لطريقته في الكتابة هو الذي يظهرنا على سر الاغراء الملازم لقراءة اتسفايج : فعلى الرغم مما يبدو عليه من صفاء وبساطة ، فانك تحس انه يكمن وراء هذا عمل شاق قد تم في الاعماق ، وتكاد تستشف من وراء حرارته وانطلاقه ذلك الصراع العنيف مع المادة التي يعالجها والخامة التي يصورها وهو انما يحتفر الشخصية التي يحللها من اعماقها ، ولا يلجأ الى ما يلجأ اليه هنا امثال اميل لدفج من اخذ صور متعددة ووصفات مختلفة — وهو ما يؤدي كثيراً الى السطحية — ، بل يكاد ينمو بروحه مع روح صاحبه ويحيا كل تجاربه في لهفة وتوجد ، ويكر عليها المرة بعد المرة حتى ينقيها في نفسه فيضعها في صورة اخيرة لا تكاد تشبه الصور الاجمالية السابقة في شيء ، لانه لا يصلح صورة عن صورة ، ولا ينقح مجملا عن مجمل ، بل ينبذ الواحدة حتى يبلغ اللب الصريح . وكان قاسياً في هذا النبذ والبتر شيئاً فشيئاً ، حتى كان من ابعث الامور للسرور لديه ان « يقتل فقرة كاملة » على حد تعبيره ، فكان يلذ له دائماً ان يجري عملية الاقتطاع طمعاً في توفير الاتصال وسرعة الايقاع .

وفي نشوة هذا الظفر المؤثل مالت شمس الطمأنينة العالمية الى الغروب ، واندفعت التيارات المهددة لتصب حممها في البركان

التأليف الكبير

ترجمة مصطفى آل عيال

ليسانسيه في الآداب

☆

كيف الف هذا الكتاب

اعتزل احد الضباط في البحرية الايطالية الخدمة وادار في ميلانو ، البلد الصناعي الشهير ، مجلة سيكولوجية وشرع يطالب علماء النفس وبعض الاصدقاء بان يمدوه بالمقالات الضافية الرزينة . وكتب فيما كتب الى صديقه بطرس او بلدي (Pietro Ubaldi) يسأله عما اذا كان بوسعه ان يمده ولو ببعض الشيء .

* بطرس او بلدي يحمل شهاد المحاماة ويدرس اللغة الانكليزية في احدى الكليات في ايطاليا .
La Grande Sintesi-Pietro Ubaldi

وهكذا بدأ « التأليف الكبير » La Grande Sintesi يظهر بشكل مقالات متتابعة في تلك المجلة التي سماها صاحبها « اجنحة الفكر » Le ali del Pensiero وكان ذلك في كانون الثاني سنة ١٩٣٣ وما كادت سنة ١٩٣٤ تهل حتى ظهر للناس اول طبعة من كتاب « التأليف الكبير » وبعد اشهر الحقت بطبعة ثانية ونفدت هذه ايضاً . واليوم نرى الطبعة الثالثة على وشك الظهور .

اجمع العلماء الذين تفحصوا هذا الكتاب وسبروا غوره بكل دقة وعناية بان صاحبه قد ألهمه الهاماً . وصفقت له الاميركتان واصدر منه العلماء هناك طبعتين احداهما بالاسبانية والاخرى بالبرتغالية . وقريباً جداً ستطلع علينا الطبعة الانكليزية في نيويورك . وستظهر منه ايضاً طبعات في اللغات التالية : الافرنسية والالمانية واليونانية والرومانية والاسوجية والعربية التي نتولى عبء نقله اليها .

ظهرت الطبعات الايطالية الثلاث متتابعة بدون ان يزاد عليها او يحذف منها . بل بقيت كما كانت تنشر في مجلة « اجنحة الفكر » دون سابق تحضير كبير من مؤلفها كما هو الشأن بتهيئة العوامج والخطوط ورؤوس الاقلام . كانت ثقة

المتحفز للانفجار . ولم ترد النذر كل يوم الا ترويعاً ، وبخاصة لاتسفايج فعاد يتكىء على عصا التشرد . فالفلا في اوربا كانت هدفاً لتفتيش الشرطة ، لا لشيء الا اغاظة لصاحبها ، والاعتقالات تجري بغير حساب ، وفي حشرجة السلام ظن انه واجد حمى — مؤقتاً — في لندن ، وان كان قد ابقى بيته كما هو عامراً بكتبه الثمينة الموفورة ، واحتفظ بجنسيته النمساوية . لكن هيهات ! هيهات ! فما لبثت النمسا ان رفوف على ارجائها لواء الصليب المعقوف ، فانقطعت آخر صلة له بوطنه ، وعما قليل ستنقطع آخر صلة له باوربا لما ان انبلج فجر اول سبتمبر سنة ١٩٣٩ .

« اشرقت الشمس ملء قرصها بقوة وحرارة . وفي شعوري المعقود الى وطني تلفت فجأة قبالتي الى ظلي كما ابصرت ظل الحرب الماضية خلف الحرب الحالية . وطوال ذلك الزمان كله لم يفر مني ذلك الظل المقيم ، وانه ليرنق من فوق كل فكرة من افكاري آناء الليل واطراف النهار ، ولعل معالمه الكابية ترقد على بعض صفحات هذا الكتاب ايضاً . لكن ، مهما يكن من شيء فان الظلال نفسها تولد من الاضواء . ومن عانى الفجر والمغيب ، والحرب والسلام ، والعلاء والانحلال ، هو وحده الذي حيّ حقاً » (ص ٣٢٧)

وكانت هذه تحية وداع من اتسفايج لهذه الدنيا الحافلة بالتشويق لمن يريد ان يحيا حقاً ، اعني : ان يتألم حقاً .

القاهرة — عبد الرحمن بدوي

الكاتب بنفسه كبيرة على متابعة مقالاته وقليل هم الذين يقدمون على مثل هذا العمل الجبار المضني في عالم الفكر . ومن منا لا يكر راجعاً الى ما دبجته يراعته يقرأه اولا وثانياً يصحح ويشطب ويزيد . ان مقالات هذا المؤلف لم تكن بحاجة الى التصحيح وليس هذا تبجحاً منه ، كل شيء عنده يسير بسرعة البرق في تلك الليالي المختارة حيث «صوته» كان يناجيه .

كان لا يكتب الا ليلا . حيث السكون والسكينة والامن والطمأنينة . حيث يكون العالم في اغفاءته الحلوة واحلامه المسجدية ... حينئذ يكون المؤلف في تناغم والعالم ، يكتسب الفكر منه قوة الصاعقة وتقوده النفحات الالهامية المنصبة عليه من عل الى ما يريده التناغم عنده تدريجياً . يبتدىء ذلك بموسيقى شجية ذات الالحان الخفيفة الخفية تحمل المرء على التفكر والابتهال والصلاة . تلك كانت انغام موسيقية ما اشبهها بسمفونيا وغنر Wagner .

يتصاعد التناغم رويداً رويداً والعالم يبتعد رويداً رويداً . حينئذ يشعر المؤلف بخفة الجسم وانعتاقه من كل حجاب وحاجز ويحس بانه يملك قوة الحدس والنظرة الفاحصة التي تنفذ الى الاعماق وتغرق توا في الهيولية والمبدأ الذي يسندها ويحرك فيها الحياة . يرى القوى التي تحرك الكون وتبقي له حركته النظامية . ويشعر بان العالم في الحقيقة نظام كبير قائم من فكرة الله ويحس بان المخلوقات كلها ترتل نشيداً يسمعه من بعيد وينسجم في سمفونيا كبيرة جداً الا وهي التكوين . وهكذا تصبح النجوى عناقاً واسعاً عظيما وتكلمه بقية المخلوقات كاخوانه فيمسك اليراع بيده ويكتب : يكتب بسرعة لا مزيد عليها وعلى اي ورق يقع تحت يده وبدون ان يشعل المصباح ، يكتب كالآلة المسخرة . ولا تكاد تنتهي هذه الأخذة حتى يثوب المؤلف الى عالمه العادي وحينئذ بوسعه ان يقرأ ما كتب فينسخه على الآلة الكاتبة ويرسله الى المجلة بدون ان يسمح لقلمه بالمرور عليه .

ومما هو جدير بان يستلفت انتباهنا ان هذه المقالات تفوق بكثير قوى المؤلف الثقافية والعقلية كما يدعي دارسوه .

الاسلوب والفن المستعملان من المؤلف هما اعطيا « التأليف الكبير » . فالاسلوب هو الحدس او هو ادراك عميق للحقيقة فوق متناول الفلسفة والعلم . والمؤلف يقول انه لا الفلسفة ولا العلم بوسعها الاجابة على المسائل التي يقترحها ويحلها « التأليف الكبير » .

الحدس هو سبيل الرؤية والاستكشاف يستمد اصله من المراكز التي تنبثق منها التيارات الروحية ، اعني هو نوع من الفكر ذي الاشعاع الآتي من آخر فرع من مركز الخواطر والافكار ، ذلك المركز الذي استوى عليه الكائن الاعظم . . كل شيء في الكون هو قوة وهذه تنتقل بواسطة امواج تشبه الراديو الذي يحمل الينا الاصوات من اطراف المعمورة النائية . والفكر ايضاً هو شكل من اشكال الانتقال بواسطة الموجات ويمكن ان يلتقط ويسجل من عقول هي في حالة ملائمة للتلقي .

ولنلق نظرة سريعة على بعض النقط في هذا الكتاب :

اول طابع يطالعنا به هو طابعه الانساني ، كما بوسع البسطاء ان يفهموه . اعني هو عبارة عن تجربة في تأليف واحد يجمع كل المعرفة معطياً جواباً على كل المسائل ذات الخطورة التي يمكن ان تعترض العقل البشري . والقراء الراسخون في العلم سرعان ما يدركون فيه الجانب الاسمى ، ما وراء العلم والفلسفة ، هؤلاء القراء الذين لو عملوا باساليبهم العقلية الوحيدة فلن يستطيعوا ان يبلغوا اعالي قمم الحدس .

الكتاب اذا يقرأ بعقول متفاوتة واعماق متباينة وهو سيناجي كل قارىء حسب قوى الادراك فيه . كثيرون هم الذين سيعتبرون هذا الكتاب كمجموع اقيسة واحدة ، حتى ولو كانت متقنة محكمة ، حيث العلم المتفرق يوحد اخيراً في مبدأ موحد مطلق (Monismo)

ومن يتبصر ما يقرأ يجد طابعاً اسمى بكثير يعطي قيمة الرؤية المباشرة للناموس الذي يبعث الحياة في الكون وهو يمثل صعوداً جديداً للانسان في المعرفة الالهية .

والمؤلف يقول بينما الناس في التآليف الوساطية يحسون باحساس تائه مغشى بالسحب محال ان يستمسكوا به بل يرفضونه على اساس انه ضد العلم ، سيجدون في هذا الكتاب عملا نظامياً عقلياً بكل ما لمعنى هذه الكلمات من القوة بدرجة انه يطابق ما فيه العلوم الحديثة . وهكذا سيطعم الانسانية بطعم الخير ويقيمها على اساس متين البذور سرعان ما تنمو وتتكشف لنا عن الحضارة المستقبلة للالف الثالثة التي هي على وشك الانبثاق .

هنا من خلال هذا الكتاب ، سيرى الناس اتجاهاً انسانياً جديداً لعله يأتي خيراً سعيداً . . .

مصطفى آل عيال

صفحات مجهولة من ادب الشرق

اغاني مصر الفرعونية

ترجمها عن الفرنسية قدري قلعجي



نشيد النيل

☆

الحمد لك يا أبا الحياة ،
يا أيها الاله السري المنبثق من الظلمات السرية !
انك تفيض على الحقول التي خلقتها الشمس ،
وتروي غلة القطعان ،
وتغمر بيوتنا بالنور .
الا فلتنعم الايدي بالراحة والعيون بالنوم ،
فانك تعمل للملايين من ابنائك الذين يقدسونك .
عندما يعتريك النقصان ،
تتداعى العروش وتنهار ،
ويغدو الناس اكثر رقة من ظلالهم .
وعندما تخرج من مرقدك ،
ترتعش الارض من فرح ،
ويبعث كل شيء من جديد ،
فيجد كل امرىء ما يأكله ،
وتطحن كل سن طعاماً .
انك تحمل الينا كنوزاً لا تحصى ،
فانت موزع الاطعمة الفاخرة ،
وان العطر الذي يعبق من مياهك
لا طيب شذا من البخور .

فيا ايها النيل ، ان جودك ليبيدنا !
بفضلك يتدفق القمح في الاهراء ،
كما تتدفق امواجك على مصر .
لقد شربت الدموع من العيون جميعاً ،
ولبثت تنظر الى النعم التي أغدقتها علينا كيف تينع وتنضج .
أنت سيد الصبح الوردي ، والظهيرة البيضاء ، والمساء الازرق .
وانت السيف الذي به نحارب ،
والترس الذي يحمينا .
أيها النيل ! لقد توسلنا اليك ..
وها هي قبلاتك تحمل الينا جوابك .
ان الآلهة لتبسم لك بإجلال ..
وان عيداننا باسمك تنبض ..
اننا نغنيك بأيدينا ، بأيدينا !

نشيد الزفاف

☆

فرح في القلوب والعيون ،
وبهجة في اشجار النخيل وعيدان القصب !
ايها الحب ! ايها الحب !
ان الحمامة والصقر يجثمان على غصن واحد ،
والقط والفأر ينامان في حجر واحد ،
والسنونو والفراشة يطيران معاً .

ألا دقو أيها الناس الصنوج !
لقد جاء يوم لا تطفىء فيه النار الماء ،
والمدية لا تجرح ،
والقوة لا تبيد .
ألا دقوا ايها الناس الطبول !
فرح في زرقة السماء ، وفي ذهب الحصاد .
ايها الحب ! ايها الحب !
ان هذا الشاب وهذه العذراء هما الان وجهاً لوجه ،
وقد نسيا كم بحث احدهما عن الآخر في خلال سنوات طوال .
ألا فلينتظرا ليلة قدرهما بسلام ،
وليدعا فجر يمنها يغمرهما بالضياء ،
وليتحررا من القلق على سعادة اهلها واحبائها ،
فان سيد النور وايزيس وتوت ونويت وسلكيت وانوبيس ،
وفتاح وسات وهاتور ، وسيد الحياة الابدية ،
وذلك الذي لا يعرف اسمه غير الاموات ،
ليباركون جميع الذين مهدوا لهما طريق التعارف والحب .
ألا ايها الناس دقوا الصنوج والطبول !

صوت

☆

عندما تزمجر العاصفة حول بيتك ،
وعندما ترتعد من خوف ..
سرعان ما تلمح قوس قزح ،
اذا سمح آله النور بأن تسمع صوتاً أليفاً ،
سواء أكان صرخة طير داجن ، او نقيق ضفدع ، او مواء هرتك ..
صوتاً يطمئنك ويعزيك ،
لأنه ينبئك بان مخلوقاً آخر ..
يشجيه ما يشجيك .

اغنية غرامية شعبية

☆

هزت الريح باب منزلي ،
فحسبت ان حبيبتي قد عادت !
فيا ايتها الريح الخادعة ، ايتها الريح البغيضة ،
ألا تشفقين على قلب حزين !
ان ضفائرها قيدتني الى الابد ،
وان رائفتها بطيخة من الجزائر ،
وثدييها رمانتان من بساتين الفيوم ،
وشعرها راية مضمخة بالطيب .
اذا التقيت من احب ،
فاركع امامها ، وامسك طرف خمارها الاسود ،
وقل لها اني اتعذب وأنتظر ..
وليغفر الله لها ان أبت الاصغاء اليك .

نشيد الزواج

☆

ارقصي أيتها الياسمينة ! ارقصي
ايتها الوردة التي قطفت من اجمل البساتين
ومن اكثرها خفاء !
ان اهدابك الطويلة لتحمي عينيك من وهج الشمس ،
وعقدك الذهبي الكبير يكاد يلمع توثب نهديك .
ايتها الوردة الموشحة بحجاب وردي ،
ايتها الزهرة المسكرة اكثر مما يسكر ساق الزنبق ،
ستقودك العذارى الى سيدك فيشملك بعاطفة دينية !
ستأكلين عسلاً في صحن ازرق ، وستكونين عارية قرمزية ، وستغني لك العنادل ،
وستروي فمك سيدك ،
وتخفف يدك حمى جسده .
وفي ليلتك الاولى ، ستصلي اسماك النيل من اجلك ..
وستحدث معجزات اخريات كثيرات .
لسوف تقشر الدجاجات البصل وتقليه ،
وتغسل القطط الخضار ، وتنخل الفئران الدقيق !
انك تطفحين بهجة ، ايتها المشمسة الصابحة ، وان سعادتك لتذهل بنات الملائكة ،
ان اجمل برتقالتين قد عصرتا على السرير الوثير ، ورمانة الدم قد انفجرت عليه .
ظلا راقدين ، فان الشمس لما تنهض .
أيها الرجل ، دع يدك تبرد هذا القلب الحار . وأنت ايتها المرأة ، دعي شعرك يغسل هذا الصدر الرحب .

ان العصافير تغرد بعذوبة اشهى من كل يوم آخر ،
والنهر يجري اكثر بطء منه في كل آن .

نشيد النائحات

☆

• على فتاة •

آهي ، آهي ...
أبكي على جبينك الذي كان سناه يضاهي سنى القمر .
أبكي على قدميك اللتين كان يقدر لهما ان تحملاك عندما تطفرين نحو الحب .
أبكي على فمك الذي كان خليقاً بأن يتلقى فيضاً من القبل .
أبكي على يديك اللتين كنت ستهزين بهما سرير اولادك .
أبكي على جسدك الذي لن تعانقه الريح بعد الآن .

• على فتى •

ان عينيك ، وقد كانتا شمسين ، لن تضيئا بعد الآن .
ان خديك ، وقد كانا وردتين ، سيسودان ويجفان .
أين المجد والقوة والظرف والكياسة ؟
اين هي ؟
اين انت ايها القلب السخي والنفس الطيبة ؟
اين انت ايها الربيع ؟
الا نم هادئاً ، فان الازاهير ستواصل الازدهار !

ترجمها عن الفرنسية فدري قلعجي

مجيدي

بقلم بديع حقي

كنت

احسب نفسي وانا افزع مساء كل يوم الى غرفة الشيخ سليمان وزوجه العجوز انني فراشة صغيرة من تلك الفراشات اللعوب التي كان يغريها ضوء نحيل ينبعث من مصباح حقير فتتسلل من النافذة وتسعى اليه ، مسفة مصعدة ، وترود حواليه مرة أو مرتين ثم تعوذ بركن مظلم من اركان الغرفة .

وكـان الشيخ سليمان يؤكد لي ان كل فراشة من هذه الفراشات هي روح من ارواح أحبتنا الذين ماتوا وأن هذه الروح انما اتت لتؤدي لنا الزيارة .

وكنت بخيلتي الصغيرة وايماني الساذج اصدق كل مـا كان يرويه لي ، حتى لاذكر انني بكيت مرة بكاء مراً حين رأيت فراشة تدف بجنـاحيها الزاهيين ، مقبلة نحوي ، وكان الشيخ سليمان يسرد لي بعض ذكرياته عن ابي الذي مات منذ سنتين ، فخيل الي أن روح أبي الطاهرة قد استعارت جناحي هذه الفراشة ثم هفت ساعيـة الى زيارتي .

وكانت غرفة الشيخ سليمان لصيقة بدارنا ، يفصل بينها جدار قديم ، كأنه قد اقيم ليكون حاجزاً بين دعـة العيش وضنكه ، بين دارنا المنيرة المنفسحة الاطراف وتلك الغرفة المظلمة الحقيرة .

وكنت لا اعدو العـاشرة من عمري وكان الشيخ سليمان يستشرف السبعين او تخطاها ، وانني لاذكر لحيته البيضاء التي كانت تكسو معظم صدره ، كم عبثت انامل الصغيرة بها ، مازحاً أو لاهيـاً ، واذكر ظهره الذي تقوس وانحنى ، كم حبوت فوقه وهو يسير بي في هينة وهدوء ، الى المدرسة ، او يتخذ سمته بي عقيب صلاة الجمعة الى المكان الذي تعود ان يضع فيه « صندوق البويه » مورد رزقه الوحيد . فاجلس قريباً منه على كرسي صغير لاتأمل في جذل وشغف كيف يمسح الاحذية بمهارته الفائقة ، ولحيته البيضاء تواكب حركة يديه اللبقتين .

وكثيراً ما كنت اهوم من النعاس فأخلد الى نوم هنيء ، داخل صندوق خشبي الى جانبه تنسم في انفي رائحة « البويه » الغريبة ، وتتردد في اذني ضربات متواترة خفيفة وهو يقرع بفرشاتـه الغليظة ظهر « البويه » ليدعو الزبائن اليه .

كانت والدتي تنظر الى الشيخ سليمان وزوجه العجوز بعين الرعاية والعطف فقد كانت العجوز لي ولاختي كالمربية الحنون ، وهي امرأة مسنة أوفت على الخامسة والستين ، وكانت قصيرة هضيمة الوجه ، تظلع في مشيتها ، وتتمايل كتفها اليسرى لكثرة ما كانت تنوء به وهي تنقل جرار الماء الى بعض البيوت القريبة الينا . وكانت على تقدمها في السن وهزالها ، نشيطة ، دؤوباً ، لا تني ولا تفتر عن الحركة . وكنت ادعوها « نانة » فقد كانت تركية ، لا تفقه من العربية غير كلمات ، وكان من عادتها ان تذهب بي في كل صباح الى المدرسة وفي المساء يعود بي الشيخ سليمان ، حتى اذا تناولت طعام العشاء ، تسللت على زجر امي ونصحها ، الى غرفته المظلمة . وثمت كنت ارمق ، في اعجاب ، هذين الشخصين الكريمين وألمس حرارة تلك العاطفـة الحلوة التي كانت تذكو ، يومـاً بعد يوم في قلبيهما الكبيرين .

وكان الشيخ سليمان ، يقص علي بصوته المتهدج اشتاتاً من الحكايات اما زوجه فلم تكن تعنى بسماع حديث زوجها بل كانت تعد لنا الشاي ، هادئة ، صامتة ، ولا تنسى ان ترهف سمعها الى الخارج وتبتسم حين جارتها الحاجة ام خليل تصب على الدلو لعناتها وبذاءاتها وهو يهوي في اعماق البئر ، حتى لقد تبصق فوقه غاضبة مزمجرة ان لم يواتها ان تسحبه في يسر .

وكان يحـلو لي ان اصغي الى حديث الشيخ سليمان الشيق الماتع ، وكان خيـالي ينسرح ، الى بعيد ، وهو يؤكد لي حين يلمح فراشة قادمة الينا ان روحاً برة كريمة من ارواح احبتنا قـد اتت لتؤدي الزيارة .

كان ذلك في اول يوم من ايام عيد الفطر وكان يوماً رائعاً فقد اخذت من امي مجيديا ابيض لامعاً يتهـلل ألقه بين انامل .

قصة

مهداة الى الصديق محمود تيمور بك




اي شيء ابعث على الفرح والسعـادة في قلب طفل ، حين يأخذ من اهله هذه « العيدية المنتظرة » وذهبت لازور قبر والدي كعادتي في كل عيد ، ورجعت من ثم اتيه اختيالا وزهواً بذلتي الجديدة ، وفي يدي المجيدي الابيض اللامع الخالسه نظرات حدب وحنان وأفركه بين انامليي ليزداد القة . والقيت نفسي في ساحة المرجة ، اصغي الى موسيقي الجيش والى جانبي بعض رفـاقي في المدرسة يتلمون اعناقهم الصغيرة المتطلعة ويتزاحمون على الرؤية .

وبصرت بواحد منهم وهو يخرج من جيبه مجيديين ، لا مجيدياً واحداً ، فيضعهما ملء راحتيه ثم يهزهما في غرور صبياني كأنه يرتاح الى هذا الرنين الحلو الناعم الذي كان يخلص منها الى الاذن . وقال لي مباهياً .

— لقد اعطتني امي هذا المجيدي .

ووضعه فوق ظفر ابهامه وضم اليه السبابة ثم دفعه في الفضاء فقفز كالجرادة وتعالى ، متلألئاً ، براقاً ، وتلقفه بجماع راحته اليسرى .

— وأعطاني ابي هذا المجيدي .

ودفع الآخر في الفضاء ثم تلقفه خيلاء .

اما انا ، وااسفاه ، فلم يكن لدي سوى هذا المجيدي الذي اعطتنيه امي ، وتبدى في عيني ، قاتماً ، باهتاً ، قد نصل لونه وذهب اشراقه ، ترى أيستطيع ان يفي وحده بكل مبـاهج العيد ؟ رباه ! لماذا مات ابي وحرمني من مجيدي آخر في هذا العيد ؟

ورجعت الى الدار ساهماً واجماً ، وصافح بصري وانا اطرق الباب حركة غير مألوفة امام دار الشيخ سليمان ورأيت الحاجة ام خليل تخرج متجهمة الوجه . وسك سمعي لغط وخفق اقدام وبكاء مكتوم . ولما فتحت لي اختي الباب رأيت جفنيها تختلجان بالدمع كأنها مشفية على البكاء ، وقالت لي في صوت كالهمس .

— لقد ماتت (نانة) البارحة في الليل .

لم ابك في هذه اللحظة ومرت فترة خيل الي فيهـا انه ينبغي علي ان لا اصدق هذا الخبر حتى تنقضي مباهج العيد وافراحه . بيد ان الدمع قد غلبني وانا ارى الشيخ سليمان يبـكي ، في صمت ، والدمع ينهمر على مسارب وجهه المغضن ثم يغيب في بياض لحيته . وقال لي .

—لقد ماتت رفيقة الحياة ، ذهبت الى الجنة يابني ، لقد سكت قلبها وهي صائمة ، دون ان تشكو اي ألم ، في غمضة عين هـكذا . واغمض عينه ووضع راحته على قعبه كأن ميتتها وهي صـائمة تواسيه وتخفف من ألم مصابه . وأفضى الي في صوت مضطرب تتمشى فيه لوعة واستخذاء ، ان ليس لديه ما يـكفي للانفاق على جنازة نانة ولم ينس ان يشير الى ان امي قد اعانته . ومضيت توا الى امي اطلب منها ان تعطيه زيادة فقالت لي وقد زوت ما بين عينيها .

—لقد اعطيته ما فيه الكفاية يا بني .

وتذكرت المجيدي « عيديتي » الثمينة التي كنت انتظرها يوماً فيوماً . علام لا اعطيه هذا المجيدي ؟ وبدت لي فكرة اخرى مغرية ولكنها خطرة . انا اعلم ان امي تضع الدراهم في الخزانة ، وهي غالباً ما تنسى المفتاح في القفل . ليس ثمت احد في الغرفة ، فامي مشغولة بالطبخ ، تهيىء طعام العيد مع الخادم ، واختي في غرفة اخرى تستقبل احدى اترابها . وتسللت في خفة اللص الى الغرفة ورأيت المفتاح كمـا كنت اتوقع ، فأدرته وانا ارتجف وفتحت باب الخزانة . هذه هي محفظة النقود امـامي مفعمة بالمجيديات ، وترددت قليلاً ثم مددت يدي واخذت مجيدياً . ولم يتح لي اضطرابي ان انتقي من بينها اكثرهـا القة وبريقاً وجدة وقد كنت اكلف بالمجيدي الابيض المؤتلق الجديد ، واجافت يدي المرتعشة باب الخزانة . فأسلس لي في صرير اجفلني وهاج في قلبي خوفاً شديداً . وهبطت من الغرفة والعرق ينحدر من جبيني واوغلت في الحديقة افكر . وكنت اشد على المجيدي في راحتي وانظر اليه في وله مشوب بالندم والخوف . ورصفته الى جانب المجيدي الآخر . انهما يلتمعان ويأتلقان ، وضممتهما ملء راحتي وهززتهما لاصغي الى رنينهما العذب واخذت اتلفت حوالي اخاف ان يـكون هذا الجرس الحلو قد خلص الى اذن احد غيري .

آه ! كم اكون سعيداً لو كان لي هذان المجيديان !

وقد ابقيت المجيديين معي ، واتهمت الخادم المسكينة بسرقة المجيدي . لقد آثرت بهما نفسي ولم اعط الشيخ سليمان واحداً منهما وكنت اعلم ، الى ذلك ، انني سرقت مرتين . سرقت امي ثم سرقت الشيخ سليمان . آه من الطفولة الجاحدة . . . .

وشيع جنازة نانة ، خمسة او ستة اشخـاص وكانت تسير في بطء وسكينة وتتمايل نحو جانبها الايسر ، فقد كان احد الذين حملوها على اكتافهم اعرج . فكأنها لا تزال تضع جرتهـا على كتفها اليسرى المهدود وتظلع في مشيتها حتى في الموت . وكان الشيخ سليمان بظهره المقوس يتعثر في سيره وراءها ولحيته البيضاء لاتني ترتعش كلما غلبه الدمع .

لم انفق ذلك المجيدي لقد خبـأته في مكان حريز ، كنت

اشعر انه يلسعني كالنار وانني لا استطيع ان المسه او اراه .

ومنذ ذلك اليوم لم يعد يطيب لي ان افزع الى غرفة الشيخ سليمان في المساء لاصغي الى شوارد قصصه وحكاياته وقد بدت لي غرفته المظلمة الحقيرة ، بعد ذلك انها كانت مظلمة حقاً ، وان القلب لا يرف الى رؤية هذا السواد الكئيب الذي يخيم في اطرافها لقد اخذت تلك الفراشة الشرود تفرق ان تجوز وصيد هذه الغرفة لترود حول مصباحها الحقير لقد اصبحت كل زاوية من زوايا الغرفة مبثوثة بشراك عنكبوت ينتظر ان تتعثر فراشة تائهة غريرة بنسيج خيوطه .

بلى . لقد زرته بعد ذلك لأعزيه ثم زرته مرة اخرى بعدفترة من الزمن طويلة وقد ذكر لي اذ ذاك بأنه لم يعد يقوى على العمل فقد سارع الوهن اليه بعد مصابه بزوجه وقد كانت تعينه بما كانت تصيبه من الدراهم ، تخدم هنا او هناك . وانه يشعر بالوحدة المملة القاتلة ، وقال لي وقد شخص بصره من النافذة الى الحاجة ام خليل وهي تمتح الماء والدلو يتدلى في الاعماق ويرتطم بجوال البئر ، ويتناهى الى الاذن منه صوت كالانين .

– انظر الى هذه الفراشة المقبلة ، لا بد ان روح نانه قد علمت انك جئت الى هذه الغرفة فاقبلت لتؤدي لكلينا الزيارة .

وبكى . . .

وتجرمت ايام ، وكنت راجعاً من المدرسة فاذا بي الحه امامي في الدرب الطويلة اللاحبه المؤدية الى الدار وكان يتزايل في مشيته ويترنح كأنه مخمور ، فاسرعت اليه ووضعت ذراعه على كتفي الصغيرة ورأيت وجهه ممتقعاً منكفىء اللون . فأثار الي نظرة شكر وامتنان بعينين محمرتين وتأوه ثم ابتسم ابتسامة شاحبة كأنها ابتسامة الموت . وسالته وقد جاوزنا وصيد غرفته .

–ماذا تشكو يا عماه ؟

فغمغم كلاما مبتسراً ثم قال .

–مريض اكاد اموت .

–وعلام لاتذهب الى الطبيب يا عماه ؟

فابتسم ولم يجب كأنه استحيي ان يقول ان ليس لديه درهم واحد .

وفي تلك اللحظة تذكرت المجيدي ، الذي خبأته بعد ان سرقته وآثرت في نفسي . ويحي من غبي كيف لم افطن اليه من قبل ؟ وأشرقت في خاطري فكرة ، ومضيت كالسهم الي البيت وعدت به ثم وضعته على نضد حقير قريب منه ، فانداح ، ابيض ، لامعاً ، مشرقاً ، واجال الشيخ بصره في وجهي متسائلا فقلت له كلمات متقطعة .

–انه لك ، لك يا عماه .

واسرعت في الخروج خشية ان يأباه وناديت الحاجة ام خليل جارته العجوز الطيبة القلب لتعنى به ومضيت . وشعرت بغبطة تملأ اهابي ، لن ابلو بعد الآن وخز الضمير رباه ما اصعبه رباه !

ومرت ايام ثلاثة . . .

والتقيت بخليل ابن الجارة العجوز في بعض الطريق فابتدرني قائلا :

–لماذالم تخرج وراء جنازة الشيخ سليمان؟ان هذا عقوق منك .

وندت عني صيحة دهشة تخالطها الحسرة : هل مات ؟

ولم اع ما قاله بعد ذلك وخففت الى الدار وفي عيني يزدحم الدمع .

–اماه . لماذا اخفيت علي وفاة العم سليمان .

–اننا نعلم انك تحبه وانك لن تطيق رؤية جنازته وقد كفن وشيع ودفن وكنت انت في المدرسة لقد مضى كما ينتسخ الحلم لم يشعر عيلته احد .

وتركت امي وهي تهز رأسها فقد علمت انني ساذهب لازور غرفة الشيخ .

وفتحت لي الحاجة ام خليل الباب وقادتني الى الغرفة الحقيرة المظلمة وجلست هي في العتبة تنتظر ان ابدأ الكلام واجلت عيني في الغرفة . ولمحت فراشة تتخبط في شراك عنكبوت وسألتها في صوت خفيض مزيج باللهفة .

–متى كان ذلك ؟ وكيف توفي ؟

فأصلحت طرحتها التي تجلل بها رأسها ، وارهفت اذنيها الى صوت كالانين يتأدى الى السمع . لا شيء ، انين الدلو وهو يهوي متدلياً ويرتطم بجوال البئر ، ثم نظرت بمؤخر عينيها ، في غير اهتمام ، الى فراشة صغيرة وقد بسطت جناحيها تهيم ، مسفة ، مصعدة في فضاء الغرفة كأنها روح شاردة .

واجابت .

–منذ ثلاثة ايام يا سيدي ، ولم نجد معه سوى مجيدي ، مجيدي واحد صرفناه نفقة على جنازته .

باريس

بديع حقي

كانت واقفة الى المرآة وجهاً لوجه،
راحت تبـكي ، ورأت
قطرات الدموع على خدها، راحت تضحك.
وفي الضحك والبكاء ،
في مطل هذين الوجهين من وجوه الحياة
رآها الناس فضحكوا ،
ولم يبكوا . . .
قالوا عنها . . . مجنونة . . .
فاستطابت اذنها اللقب ، ورددته في
اعماق اذنها . . .
فأملت ، ثم ابتسمت ، ثم سألت نفسها
عن نفسها ، وعن الناس ،
ثم قهقهت عالياً ،
فقهقهت معها رفيقتها في المرآة ،
ماذا يفعل المجانين ؟؟
ماذا يفعل العقلاء ؟؟
وساد الصمت كل صوب ،
ثم قهقهت مرة ثانية ،
ومسحت باطراف كمها بقايا الدموع
عن خديها ،
عن مآقي الحياة في صحراء خديها .
وجلست على السرير لا ترى شيئاً ،
كأنما غابت نفسها في خلية نفسها .
. . . وصر مفتاح الباب صريراً ،
واستيقظت من حجرتها البعيدة . . .
لم يدخل أحد ،
وتطلعت في المرآة مرة ثانية فوجدت
صبية مثلها جالسة هناك في المرآة، مستيقظة
على صرير الباب ،
. . . « أجيبي . . . لا تخافي . . . »
نحن هنا وحدنا ، لن يسمعنا سامع ،
. . . مجنونة . . . أو أنت مجنونة ؟؟ »
. . . « أجل . . . ولا كن مجنونة . . »
وصرخت ،
فصرخت المرآة ،

وغرقت الصبيتان ، هنا وهناك ، في
قهقهة كأنها حقاً حناجر المجانين . . .

***

لم يبـق شيء في الغرفة لم تشوشه
تشويشاً، وهي تظن نفسها تفتش عن شيء .
لم يبق الا جديلتا شعرهـا الاشقر ،
فراحت أناملها تلهو بجدائلها ، ثم تنشرها
على كتفيها كقطع سحاب ،
ثم تنظر في المرآة ،
وتضحك من هذه التي لم تجد مـا
تعبث به ، فعبثت هي أيضاً بخصل شعرها ،
وغامت عيناها . . .
ومد الليل على الغرفة بساطه ، فضاعت
الفتاتان ،

للآنسة سكينة حموي

☆

واحدة في السرير ، وواحدة في
الزجاج .
وصر الباب صريراً . . .
ودخلت أمها ، واضاءت المصباح .
فهزج في الغرفة ، من هنـا وهناك ، من
وراء المرآة ومن امامها ، وجهان غارقان
في ضباب من العياء والتأمل ،
واطفأت الأم المصباح على عجلة وهي
تتمتم :
« مجنونة . . . مسكينة ابنتي . . .
مجنونة . . . »
وتنادى كل ما في الغرفة ،
فقد اصبحت الاشياء في هذه الغرفة
العجيبة قطعاً حية من الاطياف والاشباح ،
وشهقت في النحيب ،
ثم انتصبت كنهوة المجانين ،
وحملت قبضتها وهرولت الى المرآة ،
فلم تر لونا ،
وتلفتت ملياً ، فلم تلمح عيناً . . .

***

. . . وصر مفتاح الباب بعجلة ،
فقد اسرعت الخادم لترى من كسر
المرآة ،
وفي الضوء ،
بدت المجنونة واقفة وحدها تدوس
بقدميها الحافيتين الزجاج المحطم ،
وعلى خدها دمعتان ،
واحدة من هنا ، من مقلة التمرد ،
وواحدة من هناك ، من محجر التعقل ،

***

ربي ،
متى يصبح لي في غرفتي مرآة ارى
فيها وجهي ، ارى فيها نفسي ،
لا تحطمها يدي القاسية المجنونة ؟؟
ولا تمحو لونها عتمة ؟؟
ما اسهل الحياة ، يوم تصبح الحيـاة
قهقهة مجانين . . .
ترى . . . اين توارى وجه تلـك التي
كانت تقهقه منذ لحات ، من وراء المرآة ؟؟
وهذه التي كانت تقهقه من امامها ؟؟
لقد تمحّى كل شيء ، وامتدت على
المآقي ابتسامة عميقة . . .
ليتك ربي جعلتني ونظري متيبس على
اهداب عيني . . .
ربي . . . جميل هو الجنون لانـه لا
يبعد الانسان عن نفسه . . .
جميل هو الجنون لأنه لا يبعد النفس
عن الانسان . . .

الادب المهجري ادب رسالة

رسالة الى الحياة

بقلم عيسى ابرهيم الناعوري

☆

لقد برزت مدرسة المهجر الادبية الى الوجود في زمن كان كل ما فيه في الشرق تقليداً ومسخاً، والادب بنوع خاص بليّة ومخزاة، فهو الفاظ وتراكيب تعتمد قبل كل شيء على القاموس، وعلى قواعد البلاغة والعروض، لا على العاطفه والفكرة والشعور، حتى لقد عرف عصر النهضة، على قصره — ولا سيا حتى اوائل الحرب الكونية الاولى — اكبر مجموعة من المعاجم، فقد وضع بطرس البستاني قاموسه الضخم «محيط المحيط»، ثم قاموسه الثاني المختصر «قطر المحيط» ثم ظهر ايضاً «البستان» و«فاكهة البستان» لعبدالله البستاني، و«أقرب الموارد» للشرتوني، و«والمنجد» للاب لويس معلوف اليسوعي، وقد اختصر حديثاً بقاموس للجيب، وكذلك وضع الكرملي أوسع المعاجم العربية على الاطلاق، ودعاه «المساعد»، وقد قررت حكومة العراق، قبل وفاة الكرملي، ان تطبع هذا المعجم على نفقتها. وكذلك وضع الكرملي نفسه تصويبات كثيرة على معاجم لغوية مختلفة، كما وضع الشدياق تصويباته لقاموس الفيروزابادي في كتاب دعاه «الجاسوس على القاموس».

ثم عرف هذا العصر نفسه افتتان الكتاب بتقليد الاساليب القديمة تقليداً أعمى، لا يميز بين الجيد والردي، وبين ما يلائم روح العصر وحاجاته، وما ينافيها. فالشيخ ناصيف اليازجي، مثلا، اراد ان يظهر براعته اللغوية وكثرة محفوظه من الالفاظ القديمة المهجورة، فألف «مجمع البحرين» على غرار مقامات الحريري والهمذاني، ومثله فعل المويلحي في «حديث عيسى بن هشام». وابراهيم اليازجي لم يجد خدمة للادب أجدى وأسمى من ملاحقة أخطاء الكتاب اللغوية ليردها الى قواعد قدماء اللغويين، ثم اضاف الى ذلك كتابه «نجعة الرائد» الذي حشد فيه اكبر مجموعة ممكنة من المترادفات، ليتفوق بذلك على عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني الذي قال فيه الصاحب بن عبّاد: لو ادركته لامرت بقطع يده! فلما سئل عن السبب في ذلك، قال: لانه جمع شوارد اللغة ووضعها في افواه صبيان المدارس!... وهكذا مضى اغلب الكتاب — او كبار الكتاب على الاصح — على هذه السنة التقليدية، التي تعتمد على القشور دون اللباب في الغالب.

أما الشعراء، فقد كان — ومايزال الى اليوم — اغلبهم يتنافسون في تقليد أساليب الشعراء السابقين، بحيث لا يمكن لمن يطالع شعرهم ان يقع فيه على شخصية متميزة بخصائص اصلية، بل يستطيع بسهولة ان ينسب شعرهم الى بعض شعراء عصر الانحطاط او الاعصر التي سبقته، تماماً كما فعل الرواة في نسبة الكثير من شعر صدر الاسلام الى شعراء الجاهلية، وذلك لعدم وجود ميزة تميز شعر ذلك العصر عن سابقه. وهكذا كان الادب العربي، حتى ظهور المدرسة المهجرية، او على الاصح حتى ظهور جبران على رأس المدرسة المهجرية، وبعده بقليل، استمراراً لادب عصر الانحطاط في اغلبه، او امتداداً، فيه تشويه ومسخ، لأدب العصر العباسي. وكان الادباء لا يعرفون شيئاً اسمه «الخلق» او «الابداع»، فكأن هذا جريمة في نظرهم، لانه خروج على سنة السلف الصالح!... حتى صح فيهم قول نعيمة في «غرباله»: «انهم خلقوا وماتوا ليتغزلوا بظباء الفلاة، ولمعان المشرفيات، ووقع سنابك الخيل، وسفك الدماء، ومشي الابل، وأطلال

المنازل ، ونار القرى ، وبعضهم وجدوا — وهم زهرة ايامنا — لتفتيش المعاجم واجهاد القرائح في تذليل القوافي الشاردة للمدح والتهنئة ، ولرثاء كل من يزور التراب وهم حضور ..

في هذا العصر ، الذي كان في الحقيقة امتداداً لعصر الانحطاط وان يكن في الظاهر بدء نهضة ادبية جديدة ، اجتمعت في المهاجر الاميركية نخبة من الشباب المتوثب المستنير ، طوحت بهم اسباب المعاش ، وبين جوانح كل منهم رصيد كبير من المواهب الكبيرة ، التي تتحين الفرص للبروز الى الميدان ، مزودة بكل صفات الخلق والابداع . وكان أسبقهم الى الظهور من مهجره البعيد جبران خليل جبران ، وأمين الريحاني . ولم تلبث ان انضمت الى قلميهما الجريئين الخلاقين أقلام اخرى جريئة خلاقة ، لزمرة كريمة من الشبان ، الذين كانوا جميعهم يشعرون بما في النهضة الجديدة في الشرق من عوامل الضعف والانحطاط ، ويرون انه قد آن الاوان ليترفعوا بالادب عن التقليد المبتذل ، الى حيث يمكن ان يساهم في الانتاج الادبي الانساني ، ويسلكوا به في سبل شريفة حرة ، تحفظ له جلاله وسموه ، ولاصحابه كرامة نفوسهم ، وحرية ضمائرهم وأقلامهم . وهكذا وحدت بينهم الحوافز ، فاذا بهم ينصرفون بهمة وباخلاص وغيرة لتأدية رسالتهم الادبية الى الحياة العامة من جهة ، والى اللغة العربية من جهة ثانية ، والى الشرق العربي من جهة ثالثة .

ولعل اقرب السبل الى تعريف الطريقة التي أدّى بها ادباء المهجر رسالة الادب الى اللغة العربية ، هي في مقال لجبران عنوانه « مستقبل اللغة العربية » كتبه رداً على سؤال وجهته مجلة الهلال اليه والى طائفة من مشاهير الكتّاب العرب ، وفيه يرى جبران « ان اللغة مظهر من مظاهر قوة الابتكار في مجموع الامة ، فاذا هجعت قوة الابتكار ، توقفت اللغة عن سيرها » . ويقول : « ان مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع ، الكائن — او غير الكائن — في مجموع الشعوب التي تتكلم اللغة العربية » . ثم يرى ان خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لاحياء اللغة وانعاشها « هي في قلب الشاعر ، وعلى شفتيه ، وبين أصابعه ، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر ، وهو السلك الذي ينقل ما يحدثه عالم النفس الى عالم البحث . . . وهو ابو اللغة وامها ، تسير حيثما يسير ، وتربض اينما يربض . . . وأما المقلد فهو ناسج كفنها وحفّار قبرها » .

ونحن نفهم من لفظة « الشعر » ههنا ، أنه خلق الافكار والمعاني الحية القوية ، او هو كما يفسره جبران ، اذ يقول في كتابه « دمعة وابتسامة » : « الشعر يا قوم روح مقدسة ، متجسمة من ابتسامة تحيي القلب ، او تنهدة تسرق من العين مدامعها ، أشباح مسكنها النفس ، وغذاؤها القلب ، ومشربها العواطف » ونفهم من لفظة « الشاعر » انه « كل محب للحياة المجردة ، — كما يقول جبران — والزارع الذي يفلح حقله بمحراث يختلف ولو قليلاً عن المحراث الذي ورثه عن ابيه » . او « الذي يمد اصابع وحيه الخفية — كما يقول نعيمه في غرباله — الى اغشية قلوبكم وافكاركم ، فيرفع جانباً منها ، ويحول كل ابصاركم الى ما انطوى تحتها ، فتبصرون هناك عواطف ، وتعثرون على افكار ، ولأول وهلة تحسبونها أفكار الشاعر وعواطفه ، ولكنها في الحقيقة عواطفكم وافكاركم ، لم يكتشفها الشاعر ، ولا ابتدعها ، ولا ايقظها ، ولكنه رفع جانباً من الستار عنها ، وصوّب كل ابصاركم اليها ثم تركَكم واياها تستجلون الوانها ، وتتفحصون معانيها » .

ونجد مثل هذا المعنى الذي رمى اليه جبران ، او قريباً منه ، في مقدمة ميخائيل نعيمة لمجموعة الرابطة القلمية ، التي يقول فيها : « ان الرابطة القلمية ما كانت لتقدم هذه المجموعة الى قرّاء العربية ، لولا اعتقادها بأنها قد اتخذت من الادب رسولا ، لا معرضاً للازياء اللغوية ، والبهرجة العروضية . . . »

وليس من شك في ان ميخائيل نعيمة هو خير من يرينا رأي المهجريين في اللغة وفي احسن الطرق الى انعاشها ، ولذلك لا بد لنا من الوقوف طويلا عنده ، لنستشهد بأقواله ، لانه قد تفرغ اكثر من سائر زملائه لمعالجة موضوع الادب واللغة ، فكان في ذلك كتابه الشهير « الغربال » الذي لا يزال حتى الان — وسيظل الى امد طويل — دستوراً في النقد الادبي ، يغترف منه ، ويعتمد عليه ، ويردد افكاره ومقاييسه واحكامه كل من يشتغل بالنقد الادبي عند العرب .

ومن اقوال نعيمة التي لا بد من ذكرها ههنا ، قطعة من « مذكرات الارقش » ، وهي قصة في مذكرات ، منشورة في مجموعة الرابطة ، وفيها يقول نعيمة : « العاقلون — وهم قليلون — يدركون ان ليس على وجه الارض لغة كاملة بتركيبها ، كافية لتأدية كل انفعالات النفس ، وتموجات العواطف والافكار . اما الجاهلون — وهم كثيرون — فكلهم يدعي ان لغته هي الكمال بعينه ، فهؤلاء مغرورون وغرارون . ان القصد من كل لغة هو البيان : الافصاح عن فكر او حالة روحية او جسدية ، والقصد من كل قاعدة لغوية هو رفع الالتباس ، والدقة في التعبير ، فكل

قاعدة لا ترفع التباساً، ولا تساعد على دقة التعبير» هي سلسلة من حديد . . . الناس ينسون ان اللغة هبة اعطيت لهم من الله، وانها كبقية الهبات الآلهية قد اعطيت لهم لا لتدفن، لا لتقيد بما لا يلزم من القواعد والاصطلاحات، فتبقى هي هي من جيل الى جيل، بل لتنمو وتتسع، وتزداد جمالا بازديادها بساطة، فأوسع اللغات وأجملها ابسطها، وهي لغة الافكار التي لا تربطها قاعدة، ولا يحصرها قانون، اما لغة الشفاه والالسنة فسلم يصعد البشر بواسطته الى لغة الافكار، فابعدهم عنها اكثرهم قواعد، واقربهم من اسفل السلم، واقربهم منها أقلهم قواعد وأدقهم تعبيراً» .

ثم يعالج نعيمة الموضوع مرة اخرى في «غرباله»، فيقول : «لا قيمة للرمز في ذاته، انما قيمته مكتسبة بما يرمز اليه، لذلك فلا قيمة للغة نفسها، بل قيمتها فيما ترمز اليه من فكر وعاطفة. غير أنها ما دامت رمزاً من الرموز التي تساعدنا على مبادلة الافكار والعواطف، فهي حرية باعتنائنا، لا حباً بها، بل غيرة على الغاية الكبيرة التي نستعملها من اجلها. لكن حرصنا على اللغة، لا يجب ان ينسينا القصد من اللغة، فجميل بنا ان نصرف همنا الى تهذيبها وتنسيقها لنكسبها دقة ورقة، انما قبيح بنا أن ننسى او نتناسى كونها رمزاً الى ما هو اكبر وأجل منها بمراحل، وأقبح من ذلك أن نحسبها وافية كاملة» . . .

وايضاً : «ان القصد من الادب هو الافصاح عن عوامل الحياة كما تنتابنا من افكار وعواطف، واللغة ليست سوى وسيلة من وسائل كثيرة اهتدت اليها البشرية للافصاح عن افكارها وعواطفها» . . .

ولم يكن الريحاني اقل من زملائه اهتماماً بانعاش اللغة العربية، وكان يرى رأيهم في ان الوسيلة الوحيدة لتغذية اللغة، انما هي بتلقيحها بالمعاني الكبيرة، والافكار الواسعة الباقية، لا الاهتمام بالفاظها وحدها. ولذلك نراه في مقال له بعنوان «التجديد المزيف» ينحي على دعاة التجديد في مصر بالملامة والتأنيب لانهم وقفوا في تجديدهم عند حدود تغيير بعض الالفاظ، ولم يعمدوا الى العناية بالافكار والمعاني والعواطف، فيقول : «والذي يفجعني اكثر من كل فجيعة أدبية، هو انهم يحصرون نظرهم في ظاهر اللغة، في هيكلها، في عظامها، ويظنون ان الميثاق القومي، والسيادة الوطنية، والعز، والمجد، والصولة، والاقتدار، تتوقف كلها على شيء من «حتى»، فالفضل في كينونتنا القومية هو للفظة جديدة يكتشفونها، او لتعبير عربي مضري يعودون اليه، والسبب في عدمية مناعتنا القومية هو غلطة نحوية اوصرفية أغلطها انا او يغلطها من هم اكثر مني علماً في اللغة وآدابها. اما روح اللغة، وطريقة الفكر فيها، واسلوب الكاتب الذي هو صورة الشخصية، والحرية الذوقية في اختيار الاماكن بين الكلمات والسطور لهمساته وصيحاته، ودمعاته وضحكاته، وغمزاته ولمزاته، والاختراع في معالجة المواضيع القديمة ليعطيها شيئاً من الجديد . . كل ذلك هو عندهم في الدرجة الثانية او الثالثة من الاهمية اذا قيس بشيء من «حتى»»[1] .

فهذه المعاني تلخص لنا نظرة المهجريين – وعلى الاخص مهجريي الشمال – الى اللغة، وشعورهم بالرسالة التي ينبغي عليهم تأديتها اليها. فاللغة اداة عاجزة ان لم يكن هناك افكار جديدة، ومعان جديدة، وأخيلة جديدة تدأب على تأديتها. وكل لغة لا تستحق الحياة الا بمقدار ما فيها من المعاني الحية الخالدة، التي بدونها لا تكون القواميس والقواعد سوى عوامل للفناء الاكيد، لانها فاقدة لكل عناصر الحياة.

ولذلك لم يكتف المهجريون بان يرشدوا، ويوجهوا، ويعلموا، بل انصرفوا الى الخلق والابداع بنشاط جبار، يتغذى من مواهب فياضة، فطبقوا بذلك العمل على القول احسن تطبيق، فرأينا في نثرهم وشعرهم كنوزاً من الحياة الدافقة، التي تهب كثيراً وتبقى على فيضها، وروحاً لم يألفها الادب العربي، لانها من صميم الحياة والنفس البشرية، ولانها تعبير صحيح صادق عن منازع الحياة ومرامي الفكر الانساني، يستهدف الحقيقة والجمال والحرية، ووسيلتهم في هذا هي البساطة في الاداء، لان في البساطة جمالا لا يعرفه التقعر والغموض والتعقيد.

بهذه الروح الجديدة، وهذا اللقاح الجديد من المعاني والافكار التي خلقها المهجريون في الادب العربي، انتعشت اللغة العربية، وأصبحنا نشعر باعتزاز كبير اذ نجد لغتنا قادرة كل القدرة على المساهمة في تراث الانسانية الادبي الخالد. وبهذا قدم المهجريون رسالتهم الادبية الى اللغة العربية بكل غيرة واخلاص، كما ادوا رسالتهم الى الحياة العامة.

عيسى ابرهيم الناعوري — كلية ترسانتا – القدس

(١) وانظر ايضاً مقاله بعنوان : «روح اللغة» في الجزء الثالث من «الريحانيات» ففيه ذكر الريحاني خلاصة رأيه في كيفية النهوض باللغة.

حنـــان الامومـــة

من اساطير القدماء

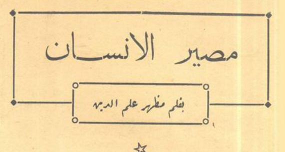
*

كانت درايوبي Dryope سعيدة جداً بمولودها البكر . وفي ذات يوم انتهى المطاف بها وبأختها ايولي Iole الى ضفة جدول رقراق ينحدر من الصرود المكللة بشجر الآس، ويصب في البحر . فعقدتا النية على جمع الازهار لتضفرا منها الاكاليل وتزينا بها هياكل الحوريات . وكانت درايوبي حاملة رضيعها — ذلك الحمل الثمين — على صدرها ترضعه وهي سائرة . وبالقرب من الماء كانت توجد نبتة حندقوق مثقلة بالازهار الارجوانية . فجمعت درايوبي قليلاً منها وقدمتها لطفلها، وأوشكت اختها أن تصنع مثلها لولا انها رأت الدم ينزف من حيث كسرت اختها سويقة النبتة . وكانت تلك النبتة الحورية لوتس Lotis التي تنكرت بتلك الهيئة عندما تتبعها شخص لئيم . وبقي هذا سراً مكتوماً حتى كشف النقاب عنه اهل المنطقة بعد ان فات الاوان عليه .

فجمدت داريوبي في مكانهـا من شدة الرعب الذي استبد بها عندما ادركت ما اقترفته يداها، وكان بودها لو تستطيع الابتعاد عن موضع الحادثة ، ولكنها لم تستطع حراكاً . ثم سرت اليبوسة في كل جسدها ، حتى صارت تشعر بضيق شديد، ولذلك حاولت أن تنتف شعر رأسها، ولكنها سرعان ما وجدت يديها مملوءتين بالاوراق، وشعر الطفل باليبوسة تغمر صدر امه، فانقطع عنه جريان حليبها . فنظرت ايولي الى اختها نظرة الاشفاق، غير أنها لم تكن تقوى على تخفيف مصابها . فعانقت الجذع النامي كما لو كان تقدر على كبح سريان اليبوسة . وفي تلك اللحظة، أقبل زوج درايوبي مع أبيها . وعندما سألا عنها ، أشارت الاخت الى الحندقوقة الجديدة . فعانقا جذع الشجرة وغمرا أوراقها بفيض من القبل .

ولم يبق شيء من درايوبي غير وجهها . فانهلت الدموع على أوراقها ثم قـالت : « انني بريئة ، لا استوجب هذا القصاص، اذ لم الحق الضرر بأحد قط ، وان كنت كاذبة في مـا أدّعي ، فلتعصف بأوراقي الرياح، وليقطع جذعي ويلق في النار» . ثم أردفت قائلة : «خذوا هذا الطفل الى مرضعة ولتأت به مرضعته بين الفينة والفينة وترضعه تحت أغصاني النضرة، ولتدعه يمرح في ظلي الظليل . وعندما يكبر ويصبح قادراً على الكلام، علموه ان يدعوني امه وان يقول بلهجة الحزن : «ان امي مختفية تحت هذا اللحاء» . ولكن حذروه من ضفاف الانهار، وليعرف أي الازهار يقتطف وكيف يقتطفها، ذاكراً أنه من الممكن بأن تكون كل عليقة يراها الهة متنكرة! وداعاً أيها الزوج العزيز! وداعاً أيها الاب الحبيب! ووداعاً أيتها الاخت الوفية! طلبي الاخير اليكم — ان كان يهزكم تذكار حبي — أن لا تجعلوا الفأس تجرحني ، ولا قطعان الماشية تجذمني بأسنانها الحادة . وبما أنني لا اقوى على الانحناء نحوكم ، تعالوا ودعوا حبكم ينهمر قبلاً على شفتي ! لا بل ارفعوا اليّ طفلي الحبيب لاضمه الى صدري واقبله القبلة الاخيرة ! اواه ! عدت لا اقوى على الكلام ، فـاللحاء يغلق حنجرتي » . . . وكفت شفتاهـا عن الحركة ، وخبت فيها جذوة الحياة .

القدس — ترجمة ماجد فرحان سعيد



مصير الانسان

بقلم مظهر علم الدين

☆

لا نجد من حاجة تدعونا الى ان نتحدث عن مصير هذا الكون الاكبر في ظن علمائه بين يدي بحثنا عن مصير الانسان فيه او مستقبله التطوري ، فذلك بحث حتى اليوم يقوم على فرضية كبرى في محيط التقدير العلمي وطاقة ادواته .

مستقبل الانسان التطوري

لم يتطور[٢] الانسان عضوياً خلال الفترة المعروفة من التاريخ البشري ، وهل ان مصير الانسان في هذه الفترة الباقية من الدهر سيكون تقدماً محضاً ؟ وما هو مستقبل مدنيتنا الحديثة من وجهة التطور الاجتماعي البحت ؟ هذه اسئلة لا بد من الاجابة عليها قبل الدخول في صميم الموضوع :

لا مشاحة في ان البشرية لم تحقق تقدماً عضوياً منذ الآلاف من السنين ، فالانسان لم يزل كما كان ولم يطرأ عليه اي تغيير عضوي بالرغم عن ان كثيراً من الانواع الحيوانية تعاقبت عليها تغييرات شتى فارتقى البعض منها وضمر البعض الآخر . وجدير بالباحث ان يتساءل عن السر في توقف تطور الانسان ، هذا اذا سلمنا بصحة نظرية التطور . والآية في ذلك تنحصر في تعطل مفعول ناموسي الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب . فالانسان استطاع بفعل نظامه الاجتماعي الحد من نشاط قانون التناحر على البقاء فيما يتعلق بالمأكل والمشرب والجنس بشكله الحيواني القاسي الذي يهدف الى اسقاط الضعيف وحفظ القوي والانسب وبالتالي ابقاء نسل من الاحياء يستحوذ على احسن المميزات العضوية تزداد تدرجاً في القوة نسلاً بعد نسل . ولا شبهة في ان الانسان بالاضافة الى تعطيله ناموسي الانتخاب الطبيعي والانتخاب الجنسي فانه عمل على القضاء على الاقوياء عن طريق الحروب المتعاقبة بينما حفظ الضعفاء عن طريق مختلف الوسائل والاساليب الاجتماعية والقانونية كما انه سمح لهم بالزواج والتناسل وبذلك سبب ايجاد اعقاب ضعاف من الناحية العضوية يزداد ضعفها نسلاً بعد نسل . والحق اننا لا نحارب هنا فكرة الاحسان الاجتماعي او المبادىء الانسانية ولكننا نحاول بحث الموضوع من ناحية علمية موضوعية لاستكناه اسباب توقف تطور الانسان ومعرفة عوامل جمود قانون « اصطفاء الانسب » هذا الاصطفاء الذي لمس قيمته بعض علماء الحيوان والنبات فطبقوه على بعض الحيوانات كالحمام وعلى بعض الاجناس النباتية حتى استطاعوا ان يستحصلوا على اجناس وفصائل احسن وارقى من الوجهة النشوئية . والحق ان الوقت الذي سيعيشه الانسان بعد ، هو ترليونات من السنين وهو كاف لان يجعل الانسان يتطور عضوياً اذا راعى اسباب التطور وازال القيود التي فرضها النظام الاجتماعي على نواميس النشوء .

مستقبل المدنية

اما من حيث مستقبل مدنيتنا الحديثة فيقول الجهبذ ديورانت دريك[١] بانها بلغت ذروتها وانها آخذة بالانحلال ولهذا لن يكون مستقبل الانسان المدني احسن حالا مما هو عليه الآن . ويقول ان التطور الاجتماعي كالتطور العضوي ليس من المحتم عليه ان يسير باتجاه مستقيم بل من الجائز ان يجري وفق خط بياني متعرج وان تاريخ الحفريات الحافل ببقايا الانواع الحيوانية وآثار المدنيات التالدة التي بلغت درجة عالية من حيث التطور لم تنشب ان زالت من الوجود . على ان الاستاذ دريك يستدرك الامر ويقول انه يحسن به قبل ان يطلق الحكم على رسله في مصير المدنية ان يعنى بتحليل اوجهها وان يتعرف الى القوى التي تعمل في كل وجه مقارناً بين قوى الخير والشر حتى يستطيع تلمس اتجاهها الصحيح . ولنبدأ معه في البحث بادىء ذي بدء في مقدار التقدم المادي في حضارتنا الحديثة فيقول ان الانسان ولا شك قد قطع شوطاً كبيراً في مضمار التقدم المادي بحيث انه يعسر على الباحث ان يقارن بين الحضارة المادية للحاضر والماضي للبون الشاسع بينهما . وهو يؤمن بانه ما من باحث لمدراسة اوجه الحضارة المادية الحديثة الا ويتسرب بعض الامل الى نفسه بان انسان المستقبل سيكون له حظ وافر من حيث وسائل الراحة والرفاهية ، على ان ذلك يتوقف في ظنه ، تغليباً ، على التقدم المعنوي . ولا خفاء ان الذكاء الانساني اصبح

(٢) مصادر البحث : D. H. Snowden, Is the World Arowing Better ? Percival Sowell, The Evolution of the world Albert Bigelow Paine, The Superman.

(١) Durant Drakes, Invitation to Philosophy.

اقل اثراً من قوى الشر، هذه القوى التي نشأت عن المطامع الفردية والدولية والتقدم المادي يتوقف ايضاً على توزيع منافع الحياة وبركاتها وعما اذا كانت ستبقى محتكرة من قبل طبقات خاصة وايد قليلة ام انها ستوزع توزيعاً عادلا بين افراد الناس .

ولا مراء في ان الحيف الاجتماعي الناشىء عن عدم توزيع منافع الحياة وبركاتها توزيعاً عادلا هو من مقومات اسباب الحروب والثورات التهديمية . ومن الحسن ان نرى احدى الدول الكبرى تجنح الى تحقيق العدالة الاجتماعية من حيث توزيع سلع الحياة ومنافع الطبيعة بين الافراد توزيعاً عادلا، على انه من المؤسف ان نقول ان نظامها لم يستطع مع ذلك الحيلولة دون استئثار بعض الطبقات ببعض المنافع .

ولعل تقدمنا الفكري اذا تمكنا من تجنب الحروب يكون اسرع جريا، هذا التقدم الذي خطا خطوات واسعة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين . فتقدم اساليب العلم وتضاؤل الامية وازدياد عدد الكتب والمجلات وانتشار البريد والهاتف والراديو هذه الاسباب كان لها اقوى الآثار في تقدم حياتنا الفكرية ولكن من المؤسف ان حرباً بسيطة تهدم كثيراً من منتجات الجهود الفكرية والآثار البشرية التي قامت خلال اجيال كثيرة ، وهي فضلا عن انها تهدم مكاتبنا ومدارسنا فانها تذهب بالمثقفين بنسبة عالية .

اما التقدم الفني او الاستاتيكي (اي فيما يتعلق بفن الذوق والجمال) فانه لم يساير التقدم المادي ككثير من الحضارات مسايرة ملازمة . والواقع ان المدنية الحديثة لم تتوفر فيها الخصوبة الفنية ولم تتميز بميزات عالية من حيث الجمال والفن، ومع ذلك نرى ان النزعة نحو الفن والجمال ملحة وان قلة الخصوبة ناشئة عن عدم ترك مقدار كاف من المال والقوى للعمل لازدهارها .

ويبحث الاستاذ درايك اخيراً في التقدم الادبي والروحي متسائلا عما اذا كان متحققاً بالفعل . وهو يعتقد ان التقدم الروحي يتوقف تحققه بصورة عامة على نمو الذكاء البشري وتسلط النية الحسنة على توجيهه ، وهو يقول ان هذا بدأ يظهر في افق مدنيتنا الحديثة . اضف الى ذلك ان ثمت اختبارات جديدة بزغت في جو هذه المدنية كما انه حدث تطور جديد في مفهوم التسامح والتفاهم وان اكثر الافراد غدوا متحررين من الخرافات التي تبلورت حول الدين والعادات الاجتماعية الوهمية ، ولهذا فان هنالك املا كبيراً بتغلب عنصري الذكاء والنية الحسنة على مستقبل الانسان وتوجيهها لمدنيته .

دمشق — المحامي مظهر علم الدين

من المساء الاخير

☆

كنت

في الغابة وحدي ،
بينما الاشجار والحيوان ، والغيوم والظلال ،
وكل نبعة ماء تُنصت لي ،
فقد كنتُ أحيلهم أنغاماً كي يسمعوا أنفسهم من نايي ،
وأجمل الكل أصدقاء ، وللناي ولي ، في لحن رائع ،
لكن أحداً في الغابة لم يأخذ الناي مني كي ينفخ فيه لي ،
لهذا كنتُ في الغابة وحدي .

ذات مساء اقبلت في غابتي حسناء ،
فرجوتُها أن تغنّي مع لحن نايي ،
لكنها لطمته ُ واوقعته ثم مضت من غابتي ،
فذهبت وانحنيت والتقطت نايي أحيل كل ما في الغابة لحنا ،
عساها تعود مع قطرة او نسمة او قطعة من ظلام
كي تسمع نفسها من نايي ،
لهذا سأظل في الغابة وحدي .

***

عندما

لمحتها من شرفة قصرها
ذهبت واشتريت بكل ثروتي عقداً يتلألأ كالدموع ،
ثم عدت أقدمه لها عساني املك فرحة قبوله ،
لكن كان ثمة جوهرة لم أتنبه اليها منطفي لونها قليلا ،
فأهانتني واقفلت بابها في وجهي ، فقررتُ انتقامي .

وفي المساء تسللت الى قصرها المنيع ،
وهناك مررت بها نائمة فقبّلتُها هامسا أحبك ،
ثم جعلت أسرق كنوزها ما بين براقة كالامل او ثقيلة كالحزن ،
ونظمتُها مع لآلىء عقدي بقية الليل في خيط لونه قان ،
وفي الصباح بعثرتُ ما نظمته على فقراء مدينتها ، فأتممت انتقامي

القاهرة — يوسف اسحق الشاروني

ذات السيطارة

☆

لابرهيم يعقوب عوبديا

بغداد

وغادة في الحفل شاهدتها ... كالزهرة الغضة في روضها
غامضة النظرة فتّانة ... في بسطها تأسر أو قبضها
تنساب فيها من تهاويلها ... ما يعجز الساحر عن فضها
ترتشف الكأس وفي كفها ... سيكارة تغفل عن نفضها
وتنفث الدخان ، في حالة ... عن حبها تنبي ، عن بغضها
في حلقات . يقتدى بعضها ... يمحي الظل على بعضها
عـاطرة تحمل أنفاسهـا ... في صور تفتّن في عرضهـا
فتارة كالسحب مركومة ... تكاد أن تجمد في فيضها
وتارة كالفلك أسرابهـا ... مـاخرة تاح في ركضها
وتارة كالطير ملتّفـة ... في وكنها الهش على بيضها
مشاهدٌ كالحلم فى لطفهـا ... خلابة كالبرق في ومضها
مشـاهد لم تحلُ لولا التي ... ذوبت الانفاس في محضها
قد بعثت في خاطري نشوة ... لم تملك النفس سوى قرضها
فرددت نفسيَ في سرهـا ... قضيت حاجاتي ولم أقضها

☆

متعب

☆

مهداة الى الياس خليل زخريا

لعبد السلام عيون السود

حمص

أنا ، يا اخت ، متعب ، وسلي الريح ، سليها ، تجبك عن إعيائي
وأنا أنت ، في انفلات الاعـاصير بدنيـاي ، وامتداد شتائي
شفّني الدرب ، فارتميت ، على الدرب ، مصيراً معصبا بدمائي
كيف أحيا ؟ يا اخت ، أدركني الليل ، ودبّ الصقيع في اعضائي
وتهـاويت ، مثقلا ناء بالعبء ، فالقى يديه خيطي عنـاء

***

أنا ، يا اخت ، متعب ، متعب مثلك ، في حيرة ، وطول التواء
وبعينيّ ، مـا بعينيك ، من عمق مهـاو بعيدة وانطفـاء
نلتقي ، في الضياع ، في التيه ، في الآهات تترى ، وفي أكفّ الهواء
وانكسار الاحلام ، في اللفتة الاولى ، ونفح الحيـاة للاشلاء

***

أيُّ شيء ، يا اخت ، يسفح نجواي ، ويذري مع الرياح غنائي ؟
قدر .. أنبت الزنابق للثلج ، ولقيـا الخريف ، والانواء !
أترانا نغيب .. في الافق النائي ، ونفنى .. في خاطر الظلماء ؟!

الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون

بقلم الدكتور نقولا فياض
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

☆

لما دخلت حديقة غنـاء ، تتدلى الثمار الشهية من اشجارها ، ويتجلى الحسن والكبرياء في ازهارها ، او رأيت في طريقي جواداً اصيلا او كلباً من كلاب الصيد جميلًا الا مر في خاطري مـا ينفقه بعض العامة او الخاصة من العناية والمال في سبيل تحسين اصنـاف الحيوان او النبات ، وقلت في نفسي : الا يكون للانسان مثل هذه العناية من اخيه الانسان ، وهو احق بها واحوج اليها فيقل ما عنده من تشويه وتخف العلل المتأصلة فيه ؟

في كل الازمان شعرت البشرية بالسليقة اولا ، وبالعقل بعدها ان البقاء اهم شيء . لما فكان الحب اصل الآداب عند كل الامم . وجاء الزواج نتيجة للحب بحكم العادة قبل ان تسن له النظم وتشرف عليه الحكومات . وكان هذا الزواج مصحوباً بحفلات واعياد لا تراهـا في اي عمل آخر ، حتى ولا في حفلات تقليد السلاح التي كانت على اعظم ما يكون من الخطورة لدى القبائل المتأخرة القائمة ابدا على قدم الاستعداد للطوارئ . وخوض غمار الحروب . وما زالت هذه المظاهر الفخمة ترافق الزواج ليفهم الناس ان اتحاد الرجل والمرأة ليس عملًا بسيطاً كالأكل والصيد والرقص والغناء بل هو عمل هام له اثره البعيد في مستقبل المجتمع الانساني ، وغايته السامية من حفظ النوع .

من أجل هذا اجمع الناس منذ فجر الحضارة على ان لا يحترموا او يكرموا الا الزواج الذي يحتفى به على مشهد من الملأ ، واما الذي يتم في الخفاء فلا يزال مأخذاً للريبة والطعن والامتهان .

على ان الحال قد تبدلت اليوم وتطرق الفساد الى هذا الزواج «الرسمي» بما اعتوره من النفاق والخداع فاصبح مسألة اقتصادية بحتة كأنه صفقة تجارية تعقد بين فريقين ، والمال وحده موضع الاهتمام فيها دون الصحة ودون الاخلاق ، ودون ما يقتضي النظر فيه من تباين الامزجة والطباع وكل ما من شأنه ان يؤثر في النسل تأثيراً غير مستحب .

يقدم الانسان على الزواج اليوم لا حبا بالحياة المشتركة وبناء اسرة جديدة بل لتحسين حالته المادية قبل كل شيء . فالفتى ليعيد ثروة اضاعها او ليظفر بمكان في المجتمع يحلم به ولا وصول اليه عن غير هذه الطريق ، والفتاة لتتمتع بامتيازات لا تسمح بهـا العزوبة فتتزوج وهي تفكر بكل شيء . ما خلا البنين ، تفكر بحياة الدنيـا من اجتماع ورقص وركوب السيارات والاسفار وحمامات البحر وما شاكل . وصار الناس يستهزؤون بمن يقدم على الزواج للحب الخالص ، والوالدون يشجعون اولادهم على ختم قلوبهم دون العاطفة الصادقة فترى الام تحذر ابنتها من الانقياد لقلبها اذا لم يكن من وراء ذلك ربح مادي وتعلمهـا ان تكون مقتصدة حتى في بسماتها فتقيسها على نسبة ما يملك الخاطب او الطالب ولا تعطيه منها الا بمقدار . واذا كانت الفتاة غنية انقلبت الآية وتبدل المشهد ، وبدلا من ان تكون البادئة بالاصطيـاد تصبح فريسة الصياد .

ولهذا الصيد قواعد واصول ، وهناك فئة معروفة تقوم به حق القيام مستعملة وسائل الاغراء بكثير من الافتنان الى كثير

من السياسة والدهاء. شباب متأنقون في ملابسهم يرتدون احدث الازياء ، على عيونهم نظارات مذهبة ومن شعورهم يفوح الطيب. يجيدون الرقص والسمر والسباحة وركوب الخيل ولعب الاكر وما شاكل. يكثرون من تقديم الهدايا والازهار ولا يبخلون بالاغاني والاناشيد والاشعار. يحدثونك عن الكتب المعروفة والقصص الجديدة وهم ابدا على استعداد لان يهدوها اليك. الى آخر ما هنالك من سلسلة طويلة الحلقات تكر بين اليدين الى ان تدق الساعة الرهيبة فتقع الفرخة الذهبية في الشرك المنصوب.

واذا كان الخاطب والمخطوب في مرتبة واحدة من الغنى فهناك الحساب والجبر والوزن والقياس للجمع بين ثروتين قبل الجمع بين قلبين.

هذه الاساليب قد لا تعرفها الطبقات المتوسطة او الفقيرة ولكنها ليست وحدها موضوع الشكوى فيما يخص مستقبل الاسرة وسعادة الذرية.

قد يكون الزواج في القبائل المتأخرة نوعاً من الاندماج البسيط دون ادنى تفكير بالسلالة فيتزوج الواحد من اول فتاة يراها ، او يخطفها من قبيلة اخرى وحسبه منها انها تعرف ان تعمل بيديها فتجيد الغزل والنسيج والعناية بالماشية ، وقلما يهتم بغير ذلك.

واما في الشعوب الراقية فعاطفة الانسان هي مقياس القوى الحيوية ، وكلما زاد عدد الذين يضعون المصلحة الذاتية فوق الواجب الاجتماعي كانت هذه القوى اسرع الى النفاد. لان الافراط في حب الذات مدعاة الى تقهقر النوع ، ومتى تغلغل في الصميم من قوم فقل السلام على الحب الصحيح وعلى الروح العائلية وعلى سلامة النسل. يمتنع الرجل عن الزواج تهربا من التبعات وتخشى المرأة الام الولادة فتستعين بكل الوسائل لمنع الحبل فيصير الحب نتيجة عادة لا اتحاد شخصين لا كتمالهما ويتحول الى ضرب من الارتباط الخالي من التعزية نصفه احلام ونصفه هستريا. او هو تقليد لما يقرأ في كتب « الرومان » والقصص.

وكم من الذين ينفقون اجمل ايام الشباب في الملاهي الباطلة حتى اذا استنفدوا قواهم اقبلوا على الزواج ليقدموا الى رفيقة العمر جسماً منخوراً وهيكلاً مهجوراً.

وهكذا اصبح الزواج نفاقاً بعد ان كان صورة الحب الوحيدة بين الرجل والمرأة ، وصار الحب مستقلاً عنه يتصوره الفتى والفتاة حسبما يريان او يسمعان او يقرآن فاذا ما اتحدا فليحفظ كل حقه فيه فيعطي قلبه فيما بعد لمن يشاء. وعلى هذا الوجه يتقهقر النسل وينحل لانه اذا كان اولاد الحب من غير زواج ضحية للمجتمع وعاداته فان اولاد الزواج من دون حب يحملون شارة الضعف والانحطاط العصبي.

فضلاً عن ذلك فالزواج الذي تدفع اليه غايات مادية بحتة يحمل كلا من الفريقين على اخفاء عيوبه عن الآخر والتظاهر بما ليس فيه فيدخلان الحياة الزوجية والظلمة من حولهما ثم تصطدم الاميال فتنجلي الغشاوة عن العيون وتأخذ مساوىء الواحد بالظهور للآخر وتتعاقب المفاجآت المكدرة بما يجعل الحياة الزوجية جحيماً.

على ان هذا النفاق في الزواج ليس كل ما يخشى وقوعه او يطلب محاربته وتجافيه فهناك عادات واذواق وامزجة تدفع بالمرء الى تجاهل الحقيقة او الاستهتار والاهمال وتعرض صحته ومستقبله لآفات كان في امكانه اجتنابها. وكم عرفت من شاب قوي جميل سليم من الوراثة المرضية والعلل السارية ، يخاطر بكل ما يملك من هذه الثروة المعنوية في سبيل الحصول على ثروة مادية فيقترن بفتاة شوهاء فقيرة الدم والمناعة ، دون ان يحسب حساباً لذريته وما سيجلبه من الشقاء لها وللمجتمع الذي ينتظرها.

ولو قيل له في ذلك لاجاب ان الذرية لا تهمه ما دام قادراً ان يعيش كما يتمنى ، وما دامت صفقته التجارية رابحة في حد ذاتها. وقد يتساءل المتعمق في البحث اذا كان مثل هذا الرجل يستحق اللوم وهو عبد للضرورات؟ فقد وجد نفسه في بيئة لا يمكن القول انها صنع يديه ، بيئة يرى فيها الغني مكرماً والفقير مرذولاً ، ثم يلوح له شبح الجوع وعذاب الجهاد ومصاعب الارتزاق والتحصيل فيتوارى المستقبل عن عينيه ولا يفكر الا بنفسه وبالساعة التي هو فيها.

وكيف تريد ان يضحي في سبيل الآتي البعيد حاضراً سعيداً لم يكن يحلم به. ولم هذه التضحية يا ترى؟ أمن اجل الانسانية؟ وما يعنيه منها وهي بخيلة عليه قاسية ، وقد علمه الاختبار ان لا يتكل عليها ولا يثق بها فهي لا تعينه اذا كان عاطلا عن العمل ولا تهتم بعياله يوم ينتزعه الموت من بينهم.

كل هذه الاعتبارات تمر اليوم في خاطر ابن هذا اليوم فلا يجد له مناصاً من الاختيار بين قليل موجود وكثير مفقود ، ولا يهمه بعد ذلك ما يمكن الانتهاء اليه من العواقب التي يلحق اذاها ببنيه من بعده.

وفي المقال الآتي نتكلم عن الوسائل التي نستطيع بها معالجة هذه الامراض الاجتماعية ، كلها او بعضها.

نقولا فياض

فن التهكم في الشعر القديم

بقلم كمال اليازجي

احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

☆

تمهيد

اكثر ما يمر بخاطرنا في احاديثنا الادبية عن الشعر، الشعر العربي : حماسيات الجاهليين، وغزليات الاسلاميين، واهاجي الامويين، وخمريات المولدين، ومدائح العباسيين، واكثر ما يرد على السنتنا من اسماء اعلامه : امرؤ القيس، وعمر، والاخطل، وابو نواس، والمتنبي، ومن اليهم.

وقد لا يتعدى المتداول من شعرهم، قصائد قليلة شاء القدر ان يخصها بالشهرة، ويميزها بسعة الانتشار. فالمثقف المتوسط، والحالة هذه، لا يعرف من شعراء العربية الا عدداً قليلاً، ولا يروي من آثارهم الا السوائر التي لاكتها الالسن ومضغتها الافواه.. ومن ثم تطوع «المتفرنجون» من ادبائنا في حرب عوان على هذا الادب زاعمين انه غث مجدب، لا يكسو من عري ولا يسمن من جوع...!

والحق ان شعرنا العربي عزيز برجاله، غزير بمادته، وهو موفور الحظ من عمق التفكير، وبعد الخيال، ودقة الشعور، وروعة التصوير، وعذوبة الفكاهة، وبراعة الاخراج. الا ان هذه المزايا لم تتحقق بعد الا لمن تسنى له ان يتسلل الى الكنوز الدفينة في موسوعاته الكبرى، وغالب الظن انها لن تتيسر للقارىء العام الا بعد ان يخرجها الاخصائيون من مدافنها بالاختيار الجيد والنشر العلمي، ويعالجوها بالشرح الوافي والتحليل المحكم. وعسى ان لا يكون عهدنا بذلك بعيداً...!!

وليست مشكلتنا الادبية الوحيدة هذا الاطلاع المحدود على مصادر الادب، بل هنالك مشكلة لا تقل عنها خطورة : هي ان ادباءنا قد نهجوا — الى الآن — منهجاً واحداً في ابحاثهم قلما حادوا عنه : — يثبتون سيرة الاديب بما شاؤا من ايجاز واسهاب، ثم يلحقونها بنخبة — من آثاره المشهورة تقصر حيناً وتطول حيناً آخر... حتى لقد غدا هذا الاسلوب السياق التقليدي الذي لم يشذ عنه احد منهم الا في القليل النادر.

وغير خاف ان موضوع الدراسة الادبية الصحيحة انما هو الادب بمجموعه : في مذاهبه واطواره، وفنونه والوانه. لا آثار العلم الواحد من اعلامه، ولا انتاج العصر المنفرد من عصوره..! على ان الانصاف يحتم علينا الاقرار بان بوادر التحول قد اخذت تظهر في الاجواء الادبية نذكر من دلائلها كتاب «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» للاستاذ شوقي ضيف. فقد حاول المؤلف في هذا السفر القيم ان يحلل الفنون الشعرية على اختلافها بالاستناد الى خصائصها ومزاياها، فشق بذلك طريقاً جديدة في البحث الادبي الفني، وهو وان لم يلم بجميع الفنون فقد كفاه فضلاً انه السابق في هذا المضمار.

وهذه محاولة متواضعة في تحليل فن التهكم في الشعر العربي، لم اتخير التصدي له لانه اجل تلك الفنون واخطرها، بل لانه لم يحظ بعد من ادبائنا بعناية جدية — على ما يتجلى فيه من توقد الفطنة، ودقة الملاحظة وخفة الروح، وبراعة الاداء.

فن التهكم

التهكم فن ادبي يعبر باسلوب مناسب عن احساس ساخر يثيره عامل نفساني من التلذذ او التكره. وهو يقوم، في الغالب، على معنى مفاجىء يجمع بين متباعدين، او يفرق بين متشابهين، بتجسيم ما بينهما من جامع او فارق، او يوجه الذهن الى خلاف المتوقع من القرينة، بحيث يؤدي — في ذلك كله — الى طعن يستثير الضحك من الخصم. فبين ان هذا الفن الرائع لا يقوم دائماً على مجرد الفكرة، بل يعتمد — الى حد بعيد — على لباقة الاخراج فاذا قلنا في رجل احدب : «انه كالجمل» او قلنا : «انه ذو سنام واحد» لم يكن هنالك فرق في الفكرة المقصودة، لكن الفرق عظيم في الاخراج الفني : فالعبارة الاولى قدح صريح خال من اللون الفني. اما الثانية فاشد والبق لانها صرفت النظر الى كونه ذا سنام واحد لا سنامين فكأن اعتباره جملاً امر مفروغ منه !!

من اصول التهكم

ولئن كان النوع الاول من الهجاء المباشر الصريح قد طغى على التهكم الفني، بداعي احترام الخصومات الجدية، الا ان القليل الذي بقي لنا من ذلك التهكم، جميل رائع، فيه من الخيال والنباهة واللباقة ما يجعله حرياً بالعناية والدرس. وهذا — بواقع الامر — ما حدانا الى اقتحام هذا الموضوع الشاق.

ولما لم يكن هذا البحث اكثر من محاولة بدائية في الموضوع، وكانت افانين الادباء المتهكمين لا تقع تحت حصر، اكتفيت بايراد بعض الاصول العامة التي تبينتها في آثارهم، والحقت

تلك الاصول بما تيسر من الشواهد . على انني لم اقنع – في المقاطع التي اثبتها – باستيفاء الشاهد فحسب ، بل توخيت استكمال الصورة ابقاء على روعة الاثر الادبي ، واكتفيت عند التحليل بالاشارة الى الشاهد المقصود .

تعظيم التافه

وذلك ان يوضع ، في جو حافل بدلائل الجلال والعظمة ، امر حقير تافه : بحيث يتوهمه القارىء – لاول وهلة – ان امراً شديد الخطورة على وشك الوقوع . قال المتنبي يصف معركة اغار فيها رجلان على جرذ :

لقد اصبح الجرذ المستغير   اسير المنايا صريع العطب
رماه الكناني والعامري   وتلاه للوجه فعل العرب
كلا الرجلين اتّلى قتله   فايكما غلّ حرّ السلب ؟
وايكما كان من خلفه ؟   فان به عضة في الذنب !

فهذه المعاونة بين الرجلين توهم ان تجاهها عدواً عنيداً ؛ ويوهم ذكر السلب انه من الاشراف ! وما ابرع الاستدلال بأثر العضة على وجود احدهما خلفه ، فكأنه قد خشي ان يقابله وجهاً لوجه فاتاه من خلفه غدراً وختلاً !! وآثر ان يناله نهشاً فظفر بذنبه !

وهوذا ابو نواس يصف رجلا بلغ منه البخل ان حمى رغيفه بالسيوف والرماح ، واستودعه القبة الزرقاء ، وحرمه على بنيه الجياع ، فكأن بين يديه درة فريدة لا كسرة من الخبز . . !! قال :

خبز لمخصيب معلق بالكوكب   يحمى بكل مثقف ومشطب
جعل الطعام على بنيه محرماً   قوتاً ؟ وحاشاه لمن لم يسغب
فاذا هم رأوا الرغيف تطربوا   طرب الصيام الى اذان المغرب

فاذا كان طرب هؤلاء المساكين لرؤية الرغيف كطرب الصائم لاذان المغرب فكم يبلغ ان تيسر لهم ان ينالوه باسنانهم الصدئة !!

وهوذا علم آخر من اعلام البخل يود ابو نواس ان يكون رغيفه منه بمثابة ولده : يشمه ويضمه ، ويدفع عنه عادية الجياع المتضورين ! ! قال :

رغيف سعيد عنده عدل نفسه   يقلبه طوراً وطوراً يلاعبه
ويخرجه من كمه فيشمه   ويجلسه في حجره ويخاطبه
وان جاءه المسكين يطلب فضله   فقد ثكلته امه واقاربه
يكر عليه السوط من كل جانب   وتكسر رجلاه وينتف شاربه

فتأمل ما اعز الرغيف على قلبه ، وما اشد العقاب على الطمع به . . . وقال في بخيل آخر :

اصبحت اجوع خلق الله كلهم   وافزع الناس من خبز اذا وضعا
خبز المفضل مكتوب عليه : الا   لا بارك الله في ضيف اذا شبعا !

فانظر ما ابرع هذه « التعويذة » التي نقشها الشاعر على رغيف البخيل . . . وهل توضع التعاويذ الا على اعز الامور ؟! ومن روائع اقواله في البخلاء قوله في الفضل :

رأيت الفضل مكتئباً   يناغي الخبز والسمكا
فاسبل دمعه لما   رآني قادما ، وبكى
فلما ان حلفت له   بأني صائم ضحكا !

فهل هنالك اعز من شيء يبكي على فقده ، ويغتبط لصونه ؟! الا انه هنا بلغة من طعام !!

تجسيم الشبه والمباينة

ولا بد في ذلك من تضمين نكتة بارعة تعزز عنصر المفاجأة لان مجرد تجسيم العيب ليس شيئاً من الفن . ولذلك عمد الشاعر في الشواهد التالية الى وضع المشبه مكان المشبه به بحيث غدا العيب المجسم صفة لازمة مقومة لذاته . قال ابو حنش في ثقيل :

قل لمحشوّ اخينا :   يا امير الثقلاء
ما رأينا جبلًا   قبلك يمشي في الفضاء

ففي هذه الصيغة ما يصرف النظر عن الشك في انه جبل ، ويحمل على التصديق بان الجبل قد يمشي في الفضاء ! ولئن كان ذلك قد امتنع فيما سلف ، فانه قد تحقق الآن في شخص هذا الثقيل !!

ومن هذا القبيل ما قال ابن الرومي في مغن قبيح الشكل منكر الصوت :

ابو سليمان لا ترضى طريقته   لا في غناء ولا تعليم صبيان
له – اذا جاوب الطنبور محتفلا –   صوت بمصر وضرب في خراسان
عواء كلب على اوتار مندفة   في قبح قرد وفي استكبار هامان

فقد جعل البعد المكاني الثابت قياساً لتنافر الانشاد والعزف وجعل النغم عواء ، والطنبور في يده مندفة قطن . ثم وصفه باعظم الغرور بعد اشد القبح ! !

ولبعضهم في صاحب انف كبير :

لك انف يا بن حرب   انفت منه الانوف
انت في القدس تصلي   وهو في البيت يطوف

فقد اختار ان يدل دلالة غير مباشرة على كبر الانف فجعل الرجل في القدس وانفه في مكة المكرمة !!

ومن خير ماجاء في كبر الانوف قول ابن الرومي :

واذا نهضت كبا بوجهك   للجبين المعطس
فالانف منك لعظمه   ابدا لرأسك يعكس
حتى يظن الناس انك   في التراب تفرّس
ان كان انفك هكذا   فالفيل عندك افطس !
واذا جلست على الطريق   – ولا ارى لك تجلس –
قيل السلام عليكما ،   فتجيب انت ويخرس

فهو لم يقنع بان يصف الرجل في كبر الانف مباشرة ، بل اتخذ لذلك طرقاً فنية غير مباشرة ، فدل على ما اراد بانخفاض الرأس ، وتوهم الناظر انه وانفه شخصان ، وباعتبار الفيل – على

عظم خرطومه — افطس بالقياس اليه !!

وقد لا يكتفي المتهكم بان يشبه الخطير بالوضيع، بل يعمد الى تفضيل الوضيع على الخطير بتجسيم ما يميزه من صفات، قال ابن الرومي :

وجهك يا عمرو فيه طول ... وفي وجوه الكلاب طول
مقابح الكلب فيك طراً ... يزول عنها ولا تزول !
وفيه اشياء صالحات ... حماكها الله والرسول !!
فالكلب واف وفيك غدر ... ففيك عن قدره سفول

فهو بعد ان جمع بينهما بالمقابح ميز الكلب بامرين : الاول ان زوال هذه المقابح جائز بحق الكلب ممتنع بحق الرجل . والثاني ان في الكلب من الفضائل ما هو منزه عنه !!

التهويل بامر زايف

ويتم بان يشير الشاعر الى صفة عامة هي في نفسها خطيرة الشأن : ثم يبين ان صلتها بالموصوف انما هي على نحو معكوس ، بحيث ينقلب التقريظ الرائع الى هزء جارح ! مثال ذلك قول ابن الرومي في صاحب انف كبير :

يا عمرو فخراً ! فقد اعطيت منزلة ... ليست لقس ولا كانت لشماس
للناس فيل امام الناس مالكه ... وانت يا عمرو فيل الله لا الناس
عليك خرطوم صدق — لا فجعت به — ... فانه آلة للجود والباس
لو شئت كسباً به صادفت مكتسباً ... او انتصارا مضى كالسيف والفاس

فقد جلله بالفخر ، وجعله اسمى مكانة من سائر الناس ، حتى افاضل رجال الدين! ولكن بماذا؟ يظن القارئ لاول وهلة ان العامل المميز انما هو احدى الفضائل الكبرى ، فاذا هو عيب جسمي شنيع . كان الاولى ان لايتميز به !! ومثل ذلك قوله في مغن قبيح :

ومسمع — لا عدمت فرقته — ... فانها نعمة من النعم
يطول يومي اذا قرنت به ... كأنني صائم — ولم اصم
يفتح فاه من الجهاد ، كما ... يفتح فاه لاعظم اللقم
نبرته غصة ، وهزته ... مثل نبيب التيوس في الغنم
كأنني — طول ما اشاهده — ... اشرب كأسي ممزوجة بدمي

فالمتوقع بعد قوله : « لا عدمت » . . . ذكر اللقاء، فاذا هو الفراق المشتهى ! والمنتظر بعد قوله : « يطول يومي . . . » ذكر الفراق . . فاذا هو اللقاء المشؤوم !! فلاشك ان هذا التحويل العكسي للمعنى بعد ذلك التهويل قد عزز عنصر التهكم الى ابعد حد . وله من هذا الضرب في حبيب قبيح :

حبيب اراني الله يوم فراقه ... غويت وما ابصرت في حبه رشدي
رفقت له من قبحه المحض رقة ... الانت له قلبي فقادت له ودي
فتاة بوجه يطرف العين قبحه ... لها صورة كالشمس في الاعين الرمد
اذا لم تكن قردا تماماً حكاية ... وقبحا، فلم تكمل لها صورة القرد!

فقد اشتهى من حبيبه . . . الفراق ! ورق له . . . بداعي القبح ! وجعله كالشمس . . . ولكن في العين الرمداء !! ولم ينزهه عن الشبه بالقرد الا لأن القرد اجمل منه !!

احتمال المستبعد

واساسه ان يبالغ في عيب المهجو الى حد يغدو معه جائزاً ومحتملًا ما كان في حقه نادراً مستبعداً . قال ابن الرومي في بخيل :

يقتر عيسى على نفسه ... وليس بباق ولا خالد
فلو يستطيع — لتقتيره — ... تنفس من منخر واحد

فالبخل ان هو بلغ هذا الحد غدا غاية في نفسه ولذة في ذاته ، فتجلى حتى فيما لا يعود بنفع ما كالاقتصار على استخدام منخر واحد ولعل هذا البخيل يؤثر نعمة الزكام بحيث يقتصد في استخدام منخريه كليهما !! وقال زياد الاعجم هاجياً اليشكريين :

اذا يشكري مس ثوبك ثوبه ... فلا تذكرن الله حتى تطهرا
فلو ان من لؤم تموت قبيلة ... اذاً لامات اللؤم لا شك يشكرا

فاللؤم لا يميت فيما نعلم ، ولو فعل ، لكان اليشكريون اول ضحاياه ! بلا ريب ! ولابن الرومي في مضيف بخيل :

اكلت رغيفاً عند عيسى فملني ... وكان كهمي من محب مقرب
يحب الخميص البطن من اكلائه ... ويضحي ويمسي بطنه بطن مقرب
تزود ، اذا آكلته ، فهي اكلة ... وما اختها الا كعنقاء مغرب

فقد بلغ من بخل هذا المضيف — على شرهه — ان ابى بذل القوت لضيفه غير مرة في حياته، ولذلك ينصح الشاعر لمن كرر زيارته ان يتزود لئلا يقضي جوعاً . وقال جرير في قوم شرهين :

لو يسمعون بأكلة او شربة ... بعمان ، اصبح جمهم بعمان
متوركين بنيهم وبناتهم ... صعر الانوف لريح كل دخان

فهم ، لبخلهم وشرههم ، يتنسمون رائحة الطعام من كل جهة، ويسعون اليه حيث كان !

حصول الممتنع

وهو ان يشير المتهكم الى امر ممتنع عقلًا ، فيجعل العامل في حصوله فداحة عيب المهجو قال ابو نواس :

امات الله من جوع رقاشا ... فلولا الجوع ما ماتت رقاش
ولو اشممت موتاهم رغيفا، ... وقد سكنوا القبور، اذاً لعاشوا

فقيام الاموات — في العالم الراهن — امر ممتنع . . . اللهم الا بحق هؤلاء الجياع ان هم تنسموا رائحة الخبز . . . ومن هذا القبيل قول ابن الرومي في صاحب لحية كثة :

ولحية يحملها مائق ... شبه الشراعين اذا اشرعا
لو قابل الريح بها مرة ... لم ينبعث من خطوه اصبعا
او غاص في البحر بها غوصة ... صاد بها حيتانه اجمعا !

فاللحى لا تصد الريح . . . ولا تصيد الاسماك . . . فضلًا عن الحيتان !! لكن الممتنع بحقها قد جاز بحق هذه اللحية وقال ابو نواس في « بارد » :

لي صاحب اثقل من احد ... قرينه — ما عاش — في جهد

علامة البغض علـى وجهه   بينة مذ حل في المهـد
لو دخل النـار طفى نارها   فمات من فيها من البرد !!

فلئن كانت هنالك نار لا تخمد فهي ، بلا شك ، نار جهنم . لكنها ، على شدة اتقادها ، لا تصمد «لبرودة» هذا الثقيل! وعليه فقد جاز ما كان في مصاف الممتنعات ! !

تعليل الخارق

ويقوم بقياس امر خارق على آخر محتمل الوقوع بتجسيم صلة فرعية تصل بينهما . قال ابن الرومي في رجل ارتقى المنـاصب قفزاً بغير استحقاق :

عجب الناس من ابي الصقر اذ ولّي بعد الاجارة الديوانـا
ولعمري ما ذاك اعجب من ان   كان علجا فصار من شيبانـا
ان للجد كيمياء اذا مـا   مس كلباً احاله انسانـا

فهو لا يستغرب تحول الذليل الى نبيل بعد ما عرف من عجائب الحظ الذي قد يحول الكلب انسانـاً كما يحول حجر الفلاسفة النحاس الى ذهب !!   وقال في شره :

واما يد البصري في كل صحفة   فاقلع من سيل واغرف من رفش
يبادر في قلع الطعام كأنـه   وكيل يتيم او مريب على نبش
الم اره لو شـاء بلع تهـامة   واجبالها طاحت هناك بلا ارش
على انه ينعي الى كل صـاحب   ضروساً له تأتي على الثور والكبش
يخبر عنهـا ان فيهـا تثلما   وذلكم ادهى وآكد للجرش
الم تعلموا ان الرحى عند نقرها   وتجريشها تأتي على الصلب والهش!

فلئن شكا هذا الشره المبطان من تثلم اسنانه فان الرحى امضى ما تكون عند نقرها وتثليمها . . . فلا عجب ان هو اتى على الصلب والهش !!   وقال في صاحب لحية طويلة :

ان تطل لحية عليك وتعرض   فالمخالي معروفـة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا   ة ولكنهـا بغير شعـير
لو غدا حكمها اليّ لطارت   في مهب الرياح كل مطير !

فهو لا يستغرب مثل هذه اللحية المستفيضة لا لشيء الا لعلمه بان لكل حمار مخلاة . ! ! فكأن انتسـاب مهجوه الى مملكة الحمير امر مسلم به !!   وقال ابو تمام في بخيل :

صدق مقالته ان قـال مجتهداً   لا «والرغيف» فذاك البر من قسمه
وان هممت به فافتك بخبزتـه   فانها قطعة من لحمه ودمه !

فهو يقسم برغيفه كما يقسم الناس بحياتهم ، والرغيف منه بمثابة الحياة واللحم والدم ، واذاً ففي كسره انقضاء اجله ! !

وللبحتري في صاحب انف كبير :

الآن علمت ان البعث حق   وان الله يفعل مـا يشاء !
رأيت الخثعمي يقلّ انفـاً   يضيق بعرضه البلد الفضاء
سما صعداً فقصر كل سام   بهيبته ، وغص بـه الهواء

هو الجبـل الذي لولا ذراه   اذاً وقعت على الارض السماء !

فقد كان هذا الانف العجيب هادياً للشاعر الملحد الى الايمان بقدرة الله على افتراع المعجزات ! ولابن الرومي في خادم بليد :

لي خادم لا ازال احتسبه   يغيب حتى يرده سغبـه
ترسله لاشتراء فاكهة   فقصرنا ان تجيئنا كتبه
كم قال ضيفي وقد بعثت به   هيهات يوم الحساب منقلبه
غيبتـه سرمد ، وخيبته   لا تنقضي ، او يقوله عطبه
يبطيء حتى اكاد احسبه   صادف تيسا فظلّ يحتلبه !

فقد علل الخارق بما هو اشد استحالة !! ونذكر بهذه المناسبة لبعض المتأخرين :

تعجب قوم من تأخر حالنـا   ولا عجب من حالنا اذ تأخرا
فمذ اصبحت اذنابنا وهي اروس   غدونا بحكم الطبع نمشي الى الورا

الوصف بشوارد النعوت

ونريد بشوارد النعوت تلك التي تجـاوز الحد المعقول في المبالغة ، او تصف الامر بعكس ما هو عليه من صفة بارزة ، نظير قول المتنبي في كافور مادحاً متزلفاً متهكماً في وقت واحد !!

انت اعـلى محلة ان تهنـا   بمكان في الارض او في السماء
ولك الناس والبلاد وما يسرح بين الغبراء والخضراء
تفضح الشمس كلما ذرت الشمس بشمس منيرة سوداء
من لبيض الملوك ان تبدل اللون بلون الاستاذ والسحنـاء
يا رجاء العيون في كل ارض   لم يكن ، غير ان اراك ، رجائي

فقد رفعه في البيتين الاولين فوق العالمين ، وسلطه على كل ما يدب ويهب ويسعى بين الارض والسماء ، وهو مـا لا يوصف به انسـان – اللهم الا على سبيل الهزء المكنون! ثم عمد الى العكس فجعله – وهو العبد الاسود – شمساً سوداء ، وانطق ملوك الارض بحسدهم له على هذه النعمة العظمى ، واغتبط بمشاهدته اخيراً ؛ كأن رؤيته – وهو البشع السحنة – امنية منشودة ! كما يغتبط هواة الغرائب برؤية اعـاجيب الدهر . وقد لجأ المتنبي الى هذا الاسلوب في اهاجيه ايضاً ، فنثر الفضائل في تضاعيف العيوب ، وجاء من ثم لون من التهكم مؤلم جارح . مثاله قال في كافور هاجياً :

ما كنت احسبني احيـا الى زمن   يسيء بي فيه عبـد ، وهو محمود
ولا توهمت ان الناس قد فقدوا   وان مثل ابي البيضـاء موجود
من علم الاسود المخصي مكرمة ؟   اقومه البيض ! ام آباؤه الصيد ! ؟
ام اذنه في يد النخاس داميـة ؟   ام قدره ، وهو بالفلسين مردود ؟!

فقد كنـاه « بابي البيضاء » وتساءل عن « قومه البيض » « وجدوده الصيد » – وهو عبد اسود سليل الزنوج ، وخصي مملوك لا يعرف له حسب ولا نسب ! وظـاهر ان المقصود بهذه

الفضائل توكيد نقائضها ، فكان بذلك بروز عنصر التهكم الجارح في تضاعيف الهجاء المقذع .

الهزل في معرض الجد

وهو ان يذكر المتهكم للمهجو عيباً مجسماً ، يخرجه اخراجاً رزيناً ، يظن معه انه امر واقع ، كقول ابراهيم الصولي في عبد له بليد :

ولما رأيتك لا فاسقاً   تهاب ، ولا انت بالزاهد
وليس عدوك بالمتقي   وليس صديقك بالحامد
اتيت بك السوق : سوق الرقيق ، فناديت هل فيك من زائد؟
فما جاءني رجل واحد   يزيد على درهم واحد
سوى رجل حان منه الشقاء   وحلت به دعوة الوالد
فبعتك منه بلا شاهد   مخافة ردك بالشاهد !

ففي هذا التخوف من رد العبد ، ان هو بيع بشاهد ، ما يؤكد انه يعتبر بيعه بدرهم صفقة رابحة ! وفي تعليل الغبن اللاحق بالشاري بانه عقاب على العقوق واستجابة لدعوة الوالد ، ما يوهم ان القائل جاد لا هازل !!

ولابن الرومي في صاحب عثنون مستفيض .

ان ابا حفص وعثنونه   كلاهما اصبح لي ناصبا
قد اغريا بي يهجواني معاً   وحدي ، وكان الاكثر الغالبا
اقسمت ما استجد عثنونه   حتى غدا لي خائفاً هائبا
ان كان كفواً لي في زعمه   فليعتزل لحيته جانبا !!

ففي اعتبار العثنون عدواً آخر . وفي هذا التحدي : ان يعتزل لحيته ويواجهه فارساً لفارس ، ما يرجح الجد على الهزل !!

وللبحتري في رجل شره :

زائر زارني ليسأل عن حا   لي كما يسأل الصديق الصديقا
كيف حالي وقد غدا ابن جبير   لي دون الاخوان جاراً لصيقا
يقتضيني الغداء والشمس لم تبزغ طلوعاً ، ولم تبلج شروقا
معدة اولية كرحى البزار   يلقي حباً وتلقي دقيقا
ويد ما تزال ترمي باحجا   ر من اللقم تعجز المنجنيقا
صاح بلعومه فقلنا المنادي   صاح في حلقه الطريق الطريقا
فاذا جيء بالخوان تفزعت واشفقت ان يموت خنيقا !

فالفزع والاشفاق يوهم ان الوصف لم يتعدَّ الامر الواقع !!

ولابن الرومي في مثل ذلك :

فكاه كالعصرين من دهره   كلاهما في شأنه دائب
ذو معدة ثعلبها لاحس   وتارة ارنبها ضاغب
كأنما الفروج في كفه   فريسة ضرغامها دارب
اقسمت ، لو انك لاقيته ،   نابك من اضراسه نائب !

فهذا القسم يوهم ان الشاعر جاد فيما يقول لا هازل !! ولابي نواس في ابي جعفر :

ابو جعفر رجل عالم   بما يصلح المعدة الفاسدة
تخوف تخمة اضيافه   فعودهم اكلة واحدة

فتأمل حرص هذا الرجل على سلامة معد اضيافه ! ولا عجب فالمعدة بيت الداء والحمية خير دواء !!

استدراك المدح بالذم

وهو ان يستخرج المتهكم من صفة توهم المدح ، وجهاً من الذم الجارح ، فيتولد من هذا الانتقال المفاجىء عنصر التهكم . ومثال ذلك ما قال ابن الرومي في جبان :

سليمان مفسدة المملكة   فاهلكه الله واستدركه
هو الاسد الورد ، في قصره ،   ولكنه ثعلب المعركة

فهو أسد — لكن في قصره فحسب ! اما في المعركة فثعلب !! ومن هذا القبيل قول ابي نواس في جارية قبيحة :

وجه بنان كأنه قمر   يلوح في ليلة الثلاثين
والخد من حسنه وبهجته   كطاقة الشوك في الرياحين
والفم من ضيقه اذا ابتسمت   كأنه قصعة المساكين
لها ثنايا تحكي ، ببهجتها   وحسنها ، السن الموازين
والجيد زين لمن تأمله   اشبه شيء بجيد تنين
تفتن من رامها بلحظتها   كأنها لحظة المجانين
ولدت من اسرة مباركة   — لاعيب فيهم — من الشياطين

فصيغة الكلام في صدور الابيات توهم المدح ، الا انها في الاعجاز حولت النظر الى وجها من الذم ، فجاء على الاثر مظهر السخر المر . . ومن الاقوال المشهورة في هذا الباب قول احدهم في عمل منكر :

يا له من عمل صالح   يرفعه الله الى . . . اسفل !

وقول آخر في احدب :

لا تظنن حدبة الظهر عيباً   فهي في الحسن من صفات الهلال !

الهجاء بترك الهجاء

وقوامه الترفع عن الخصم ، وترك هجائه مبالغة في تحقيره . ومن شواهده ما قال ابن الرومي في الرد على هاجيه :

رقادك ! لا تسهر لي الليل ضلة   ولا تتجشم فيَّ حوك القصائد
ابي وابوك الشيخ آدم نلتقي   مناسبنا في ملتقى منه واحد
فلا تهجني ، حسبي من الخزي ، انني   واياك ، ضمتني ولادة والد

وقال في آخر :

يا مستقر العار والنقص   اغنت مخازيك عن الفحص
انت الذى ليست لسوآته ،   ولا لنعمى الله ، من محصي
معايب الناس وسوآتهم   قد جمعت لي منك في شخص

فقد امسك عن الرد على هاجيه لان عيوبه — شهرة و كثرة —

قد اغنته عن ذلك وتأمل كيف قابل تلك العيوب بنعم الله كثرة وكيف حشد فيه معايب الناس طراً حتى جعل منه الرذيلة المجسمة .

ولابي نواس في الرقاشي :

قل للرقاشي اذا جئته   لو مت يا احمق لم اهجكا
لانني اكرم عرضي ولا   اقرنه يوماً الى عرضكا
دونك عرضي فاهجه راشداً   لا تدنس الاعراض من هجوكا
والله لو كنت جريراً لما   كنت باهجى لك من عرضكا !!

وله في احمد الجرجاني :

بم اهجوك ؟ لا ادري   لساني فيك لا يجري
اذا فكرت في عرضك   اشفقت على شعري

ففي كلا القولين اضرب عن الهجاء لا تنزيها للخصم عنه بل تنزيهاً لنفسه عن ان يقرن بذكر الخصم !!

تجسيم العيب بسوء الاعتذار

وذلك بان يلتمس المتهكم لخصمه عذراً عن تقصيره فيجيء العذر اقبح من التقصير وادل على العيب .

غدونا الى ميمون نطلب حاجة   فاوسعنا منعاً جزيلًا بلا مطل
وقال اعذروني ان بخلي جبلة   وان يدي مخلوقة خلقة القفل
طبيعة بخل ، اكدتها خليقة   تخلقتها ، خوف احتياجي الى مثلي

فقد اعتذر عن بخله بانه طبيعة لا يمكن تغييرها ، فكان عذره اقبح من عيبه ، لانه اكد بذلك لزوم البخل لخلقه . وقال فيمن عاب شعره :

لست عندي ان عبت شعري ملوماً   لك عذر الذي في ضيق علمك
قد اردت الاعراض عنك احتقاراً   لك ، لا انني جنحت لسلمك
فتذكرت موبقات ذنوبي   فرجوت الخروج منها بشتمك
فاحمد الله قد رزقت هجاء   بعد طول الخمول نوّه باسمك

فبعد ان اضرب عن هجائه ، وصفح عنه نظراً لجهله ، عاد فوجد الهجاء في مصلحة الجانبين . فضيلة لانه يصلح للتكفير عن الذنوب ، وهو بعد وسيلة مضمونة للتنويه بذكر المهجو ، ما دام قد اخفق في طلب الشهرة عن طريق الفضائل !!

ولابن الرومي في ممدوح لم يجزه :

نستغفر الله قد فعلنا   ما يفعل المائق المجهول
ما ان سألناك ما سألنا   الا كما تسأل الطلول
صمت وعيّت فلا خطاب   ولا كتاب ولا رسول .

فهو يعتذر عن حسن ظنه به ، وفي هذا الاعتذار طعنة نجلاء ! .

والمتنبي في كافور :

اولى اللئام كويفير بمعذرة   في كل لؤم ، وبعض العذر تفنيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة   عن الجميل ، فكيف الخصية السود

وما اردفه الشاعر من ملاحظة يغنينا عن التعليق ! !

ووجه الغرابة في ذلك : ان الانسان ابعد ما يكون عن نسبة العيب الى نفسه ، فاذا فعل تولد من ذلك عنصر التهكم . قال الحطيئة — وقد تحركت نفسه الخبيثة الى الهجاء ، ولم يجد من يهجوه ، الا صورة وجهه اذ نظر في صفحة ماء — :

ابت شفتاي اليوم الا تكلما   بشرّ ، وما ادري لمن انا قائله
ارى لي وجهاً شوه الله شكله   فقبح من وجه وقبح حامله

ولابن الرومي في نفسه من هذا القبيل :

من كان يبكي الشباب من جزع   فلست ابكي عليه من جزع
فان وجهي بقبح صورته   ما زال بي كالمشيب والصلع
اشبّ ما كنت قط اهرم ما   كنت ، فسبحان خالق البدع !
اذا اخذت المرآة سلفنيّ   وجهي — وما مت — هول مطلعي
شغفت بالخرد الحسان ، وما   يصلح وجهي الا لذي ورع
كي يعبد الله في الفلاة ، ولا   يشهد فيه مساجد الجمع

فتأمل كيف جعل نفسه ، في نضارة الشباب كاقبح ما يكون الهرم المتهدم . . . وكيف اعتبر نفسه احرى بالتنسك منه بعشق الحسان ، وحرم على نفسه ، حتى ورود المساجد ، رأفة بالعباد المتقين ، كأنهم ان هم رأوه كفروا برحمة الله !! وله في مثل ذلك :

تعممت احصاناً لرأسي برهة ،   من القرّ طوراً ، والحرور اذا سفع
فلما وهى طول التعمم لمتي   فازرى بها بعد الاصالة والفرع
عزمت على لبس العمامة حيلة ،   لتستر ما جرت عليّ من الصلع !

فهو يقر على نفسه انه زاد رغبة في التعمم ستراً لصلعه ! .

ومن اطرف ما جاء في هذا الباب : ما روي عن ابي دلامة ، اذ فرض عليه امير المؤمنين ان يهجو احد الموجودين في مجلسه ، فآثر هجاء نفسه :

الا ابلغ اليك ابا دلامه   فليس من الكرام ولا الكرامه
اذا لبس العمامة كان قرداً   وخنزيرا اذا نزع العمامه
جمعت دمامة وجمعت لؤماً   كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد اصبت نعيم دنيا   فلا تفرح ، فقد دنت القيامه !

هذا ما سمح المقام ببسطه من اصول فن التهكم في الشعر . ونحن لا ندعي اننا استنفدنا الموضوع ، ولا اننا قلنا فيه الكلمة الاخيرة . وجل ما نرجو ان نكون قد وفقنا اليه ، هو : التدليل على ان هذا الموضوع يقوم على اصول فنية ثابتة . ولعل القارىء — بعد ذلك — اقرب الى الاقتناع بان الشعر العربي حافل بفنون كثيرة تفتقر الى من يخرجها من مهدها ، او يبعثها من مدافنها . . . والامل في ذلك معقود على ادباء العصر الحاضر ، فعسى ان لا يضنوا عليها بجهودهم ، بل يتجردوا لمعالجتها ، واظها روائعها ، بكل ما وهبوا من همة وجلد وفطنة .

كمال اليازجي

وداع دار

★

أحقـاً سأهجر دار الطفولة تلك التي عشت فيهـا طويلا ؟
أفي الحق هذا ؟ أفق يا فؤادي كفاك سكونا ، كفاك ذهولا
عزيز عليَّ الوداع الاخير فـلا تك بالشعر قلبي ، بخيـلا !
كأني يا دار بـين القبور أودّع شخصـاً عزيزاً جليلا
كأنيَ أمّ أتت لوداع فتاهـا الذي وجدتـه قتيـلا
قطين الوداع كنعش وقور وأوتار قلبي تـدقّ طبولا
وفي عمق روحيَ لحن رهيب وقد أرسل البدر ضوءاً ضئيلا
وغنّى على الدوح طير شجيّ يودّع مغنى الخريف الجميـلا
وسار النسيم بطيئـا حزينا كشيخ تحمّل عبئـاً ثقيلا
أو الذكريات بقلب يتيم تعنّى وذاق العذاب الوبيـلا
فراح يزور ضريح أبيه وقد نكّس الرأس يبكي ذليلا
أحقاً سأهجر تلك التي لهـا ذكريات برتـني نحولا ؟ !
مقدّسة ، قد طويت الضلوع عليها ، ولم أنس منها فتيلا
هنا لقنتنا دروس الجمال ، هنا كان ظل جناها ظليلا
هنا كنت ألهو وليداً وأحبو وفي حجرها كنت أغفو طويلا
على النغمات الحسان تهدهد قلبي فهل لي اليهـا قفولا ؟
أحقاً سأهجر داراً بها شياطين شعري تعـاطت شمولا ؟
بها كم قضيت الليالي الطوال أبثّ النجوم جواي الدخيـلا
واسأل أيامنـا عودةً ، فيا حبذا لو مكثن قليلا
لها الله من ذكريات مضت ، ستبقى الحياة لقلبي مقيلا

اللد — فلسطين   دعد الكيالي

عمر الكون وسعته

بقلم عبد الخالق عبد الرحمن

☆

يقال ان تأريخ الجنس انما هو تأريخ الفرد مكتوباً بحروف عريضة. وهذا القول ينطبق انطباقاً خاصاً على مسألة الكون وحجمه. فالطفل الوليد يعجز عن تصوّر حجم الكون لان مهده ومرباه وحدة مقياسه وكذلك كان الجنس البشري في مهده. فقد سلّم بأن الارض — وهي مقره ودنياه — هي اهم جزء في الكون بل ومركزه وانها في حجمها هي الكون ولكننا عند ما نتغلغل في منابع العلم الاولى، نرى دلائل انهيار هذا الرأي رويداً رويداً. ففي القرن السادس قبل المسيح قال فيثاغوراس ان الارض كروية وفي القرن الرابع ق.م. ذهب هيراقليطوس النبطي الى ان مـا يبدو من دوران السماوات ناشيء عـن دوران الارض الكروية. وكان من شأن هذه الاقوال ان حملت الناس على تنقيح آرائهم في حجم الارض ومقامها بالقياس الى اجزاء الكون. ثم قـام ارسترخس في القرن الثـالث ق.م وحـاول ان يتبين حجم الكون بطريقة القياس العلمي الدقيق. فقد لاحظ انه عندما يكون القمر نصفاً يكون الخط الوهمي الواصل بين القمر والشمس عمودياً على الخط الواصل بين القمر والارض واذن فالمثلث الذي قوامه الخطوط الواصلة بين الشمس والارض والقمر تحتوي على زاوية قائمة عند القمر والثانية التي عند الارض يمكن قيـاسها بالرصد. والثالثة تعرف بالاستنتاج الهندسي وبهذه الطريقة حاول ارسترخس ان يعرف النسبة بين الاضلاع الثلاثة في هذه الزاوية اي النسبة بين ابعاد هذه الاجرام الثلاثة، احدها عن الآخر. وقد كانت نظريته سليمة ولكن ارصاده كانت خاطئة. والواقع ان الزاوية عند الارض تختلف عن الزاوية القائمة بمقدار تسع دقائق من القوس ولكن ارسترخس حسب الفرق ثلاث درجات. وكذلك استنتج ان الشمس تبعد عن الارض ٤٠٠ ضعف بعد القمر عنها. ولم يكتف ارسترخس بتقدير الابعاد النسبية، بل سعى كذلك الى تقدير الابعـاد الحقيقية، فبفضل انكساغورس فهمت طبيعة الخسوف. فكان معروفاً حينئذ ان الظل الذي ينتشر على وجه القمر وقت الخسوف هو ظل الارض. ولما كان ارسترخس يعلم ان الشمس ابعد كثيراً من القمر عن الارض، فانه ذهب الى ان مساحة الظل قريبة مـن حجم الارض اي ان الظل الواقع عـلى القمر دائرة من حجم الارض تقريباً كما ترى عن بعد هو بعد القمر عن الارض. ولما كان يعرف حجم الارض فقد كان من السهل عليه ان يحسب بعد القمر عنها.

وفي هذه الناحية ايضاً كانت طريقة ارسترخس سليمة وارصاده خاطئة. فقد قدر ان ظـل الارض يفوق قطر القمر ضعفين. والواقع انه يفوقه ثلاثة اضعاف. وحسب ان القمر يشغل في الفضاء قطعة من القوس قدرها درجتان والحقيقة ان قدرها نصف درجة. فكانت النتيجة أنه اخطأ في حساب بعد القمر وحجمه. والواقع ان القياس الفلكي الدقيق لم يكن من مزاياه، ولكنه كان اول باحث وجه النظر الى عظم الابعاد الفلكية.

ثم ان ارسترخس اضـاف الى ناحية الابعاد العظيمة في علم الفلك رأياً قد يفوق آراءه السالفة شأناً اذ اثبت بتدليل يذكرنا بتدليل كوبرنيكوس في القرن السادس عشر ب.م. ان الارض تدور في فلك دائري حول الشمس. ثم بنى عـلى ذلك قوله بأنه ما زالت النجوم تبدو ثابتة في مكانها عـلى الرغم من دوران الارض فيجب ان تكون بعيدة جداً عن الارض. ومن اقواله ان النسبة بين ابعـاد هذه النجوم الى فلك الارض كالنسبة بين نصف

محبط كرة ومركزها . اي ان النظام الشمسي لم يكن الا بمنزلة نقطة في الفضاء .

وغني عن البيان ان بطليموس الاسكندري تحدى هذه الآراء في القرن الثاني ب . م . وغلب آراءه عليها . فقال انه لو كانت الارض تدور لتناثرت في الفضاء الاجسام التي في منطقتها الاستوائية ، وخلص من ذلك الى انه لو صح رأي ارسترخس في دوران الارض لتبددت مادة الارض هباء في الفضاء ، وهذا في رأيه من المضحكات ومن اقواله في هذا الصدد انه لو صح ان الارض تدور والقيت بحجر من عل لما وصل الى هدفه لان الارض بحركتها تبعد الهدف في اثناء السقوط . وظلت آراء بطليموس سائدة حتى منتصف القرن السادس عشر عندما ردها كوبرنيكوس بالحجة البينة . وليس هنا مجال للتبسط في هذه المعركة الحاسمة في تأريخ العلم .

وقد كان مصير آراء كوبرنيكوس خيراً من مصير آراء ارسترخس . ذلك لان الطباعة والمرقب كانا قد استنبطا . فما انقضى ثلثا قرن على نشر كتاب كوبرنيكوس حتى اثبت غليليو بالمرقب اي بالمشاهدة صحة اقوال هذا القس البولندي العالم . وقبل ان ينظر غليليو من خلال مرقبه الى الفضاء بعشر سنوات ، كان جوردانو برونو يقول ان النجوم اجسام تشبه الارض والقمر والسيارات ، وهو قول فيثاغوراس قبل الفي سنة . وما انقضت عشر سنوات على مشاهدات غليليو الاولى بمرقبه ، حتى كان كبلر قد أذاع رأيه بأن النجوم تشبه الشمس وهذا القول كان اول باعث حمل الناس على ادراك سعة الكون العظيمة . لانه اذا كان اشراق النجوم شبيهاً باشراق الشمس فيجب ان تكون على ابعاد عظيمة عنا لكي تبدو صغيرة كما تبدو . فنحن نتلقى ضوءاً من الشمس يفوق مائة الف مليون ضعف ما نتلقاه من نجم من القدر الاول كالنسر الطائر او يد الجوزاء او الدبران . فاذا كانت هذه النجوم من مرتبة الشمس اشراقاً فيجب ان يفوق بعدها عنا ٣٢٠ الف ضعف بُعد الشمس عنا . فاذا حولنا هذا القول الى اسلوب الكلام العلمي الحديث قلنا ان نجوم القدر الاول يجب ان تبعد عنا على هذا القياس خمس سنوات ضوئية .

ونحن نعلم الآن ان هذا الاسلوب من البحث لا يفضي الى نتائج دقيقة لان القول بأن النجوم تماثل الشمس اشراقاً بعيد عن الحقيقة اذ منها ما يفوق الشمس عشرة آلاف ضعف ومنها ما لا يبلغ اشراقه جزءاً من الف جزء من اشراقها . ولكن الاسلوب نفسه سليم اذا اتقن وقد اتقن في العصر الحديث واضيفت اليه اضافات متعددة فغدا قياس ابعاد النجوم من امتع ما يتناوله الفلكي في بحثه .

من الواضح ان في الامكان تقسيم النجوم طوائف . فهي تختلف اشراقاً اختلافاً عظيماً ولكن النجوم التابعة لطائفة معينة تتشابه اشراقاً ، ولذلك يستطيع الباحث الفلكي ان ينفذ الى بعد النجم برصد اشراقه البادي بالقياس الى اشراق الطائفة التي ينمى اليها . وتقسيم طوائف النجوم يبنى عادة على دراسة طيوفها .

خذ مثلاً على ذلك نجم الشعرى اليمانية الذي يبدو لنا أبهر النجوم ضوءاً في الفضاء . هذا النجم ، من النجوم القريبة الى الارض ويمكن تعيين بعده بطريقة اختلاف الزاوية ، وهي الطريقة التي يستعملها المهندس عند مسح الارض لتعيين بعد جبل وذلك برصده من مكانين مختلفين بينهما ميل مثلاً او نصف ميل او ميلان ثم يرسم مثلثاً يستخرج منه بطريقة علم المثلثات بعد الجبل . والشعرى بهذا القياس تبعد عنا ٥١ مليون اي ٨٫٦٥ سنة ضوئية . ثم يتخذ بعد الشعرى مقياساً لبعد النجوم التي من طائفتها . فنجم من طائفتها يقل اشراقه البادي عنها ١٠٠ ضعف أبعد منها عنا عشرة اضعاف ، لان قوة الضوء تقل كمربع المسافة .

ثم هناك النجوم المعروفة بالمتغيرات القيفاوية والاعتماد عليها في معرفة ابعاد النجوم ادق وهذا الاسلوب من اهم المكتشفات الفلكية الحديثة ووصفه بايجاز : من انواع النجوم كذلك نسبة الى نجم (ذلتا قيفاوس) . هذه النجوم يتغير اشراقها تغيراً دورياً فاذ تكون خافية الضياء تراها وقد اخذت تزداد اشراقاً ثم تأخذ بعد ذلك بالخمود حتى ترجع الى حالها الاولى . وقد شبهها جبنز بنار الموقد الخامدة وقد ألقى فيها قدر من الفحم فما لبثت حتى اشتد سعيرها . والفضل في كشف هذه الطريقة الجديدة لقياس ابعاد النجوم يرجع الى اميركية تدعى المس لفيت Leavitt . كانت هذه السيدة تشتغل في مرصد جامعة هارفرد سنة ١٩١٢ . وكان قد مضى عليها سنوات وهي تدرس الالواح المصورة لنواح مختلفة من السموات بغية ان تكشف ما تنطوي عليه هذه الالواح من حقائق جديدة عن النجوم مفردة ومجتمعة . واذ كانت مكبة على صورة لاحدى القنوات النجمية التي على حدود المجرة ، تبينت فيها شيئاً جديداً . ذلك ان طائفة من المتغيرات القيفاوية كانت قد ظهرت في تلك المجموعة النجمية . فلاح لها من دراسة الصورة ان المتغيرات القيفاوية

الكبيرة المشرقة كانت ابطأ تغيراً من القيفاوية الصغيرة الخافية . فالفترة التي تنقضي بين خفاء القيفاويات الكبيرة وبلوغها ذروة اشراقها ثم رجوعها الى ما كانت عليه كانت اطول من فترة التغير في القيفاويات الصغيرة . فأسرت ذلك الخاطر وعمدت الى ما تجمع من الصور الضوئية للسدم الاخرى التي صورت منذ استعمل تلك الطريقة الفلكي داربير سنة ١٧٧٠ وخرجت من بحثها الدقيق المستفيض بأن طول فترة التغير متصلة صلة وثيقة بقوة الاشراق . فأعلنت هذه القاعدة الجديدة في علم الفلك .

ولكن الاشراق البادي لنجم من النجوم يختلف عن اشراقه الحقيقي . لان ما يبدو من اشراق احد النجوم يتوقف على بعده . فقد يكون نجم عظيم الاشراق ولكنه عظيم البعد في الوقت نفسه فيبدو للراصد الارضي نجماً غائراً . فاذا كان هناك نجمان قيفاويان على بعد واحد من الارض وكانت فترة التغير في احدهما اقصر من فترة التغير في الثاني فالاول اقل اشراقاً من صاحبه . فلما وضعت هذه القاعدة هذا الوضع ظهرت فائدتها في قياس ابعاد النجوم ولنفرض ان امامنا نجمين قيفاويين فترة تغيرهما واحدة . ثم لنفرض ان اشراق احدهما البادي يفوق اشراق الاخير مائة ضعف . فالنتيجة الحتمية التي نخرج منها — اذا صحت قاعدة المس لفيت — ان اقلها اشراقاً يجب ان يكون ابعد من الآخر عشرة اضعاف لان الضياء الصادر من جسم مضيء يقل كمربع المسافة . ثم لنفرض ان احد هذين القيفاويين واقع في مجموعة من النجوم عرف بعدها عن الارض . ففي هذه الحالة يمكن استخراج بعد الآخر استخراجاً دقيقاً وكذلك تم للعلماء اسلوب جديد بارع لذرع الفضاء .

ثم عني شابلي وهيل بتطبيق قاعدة المس لفيت على السدم . فاهتم شابلي اولاً بالبحث عن المتغيرات القيفاوية في القنوات الكروية ، ليتمكن من قياس بعد هذه القنوات بقياس بعد المتغيرات القيفاوية التي فيها . وبعد بحث رياضي دقيق استخرج طريقة سهلة تمكن الباحث من معرفة ابعاد هذه النجوم الحقيقية بدلاً من معرفة ابعادها النسبية واعتمد على هذه الطريقة في قياس بعد قنو هرقل فوجده ٣٦ الف سنة ضوئية . ثم اعتمد عليها في قياس ابعاد مائة من هذه القنوات فوجد ان بعدها وهو المرسوم N G C 1006 يبعد ٢٢٠ الف سنة ضوئية من الارض .

اما هيل فصرف عنايته الى قياس السدم بهذه الطريقة فوجه نظره اولاً الى السديم المرقوم Messier 31 وهو سديم حلزوني في صورة المرأة المسلسلة ثم الى السديم Messier 33 في صورة المثلث فوجد ان في الاول متغيرات قيفاوية تبلغ العشرة او اكثر قليلاً وان فترة التغير في اشراقها تماثل فترة التغير في بعض القيفاويات التي في المجرة . فاستند الى قاعدة المس لفيت كما افرغها شابلي فتبين ان هذا السديم يبعد عنا ٩٠٠ الف سنة ضوئية . واذن فهو خارج المجرة حتماً ثم التفت الى الثاني وبالطريقة نفسها اثبت انه يبعد عنا مليون سنة ضوئية .

وقد ظهر من بحوث هيل واعوانه ان اخفى السدم التي تتبينها عين المرقب وتسجلها لوحة التصوير الضوئي الحساسة يبعد ٢٤٠ مليون سنة ضوئية .

فلنحاول الآن ان نرسم صورة للكون المنظور كما يرى لو كنا مشرفين عليه من بعيد . ولنجعل هذه الصورة كرة قطرها عشرون قدماً ، وكل بوصة فيها تمثل المسافة التي يجتازها الضوء في مليوني سنة ضوئية . واذن فمجرتنا (قطرها نحو ١٠٠ الف سنة ضوئية) تمثل داخل هذه الكرة برأس دبوس قطره عشر بوصة . اما النجوم التي ترى بالعين المجردة فتشغل داخل هذا الرأس كرة نصف قطرها ١ على ٦٠٠ بوصة . اما شمسنا فلا تزيد على حجم كهيرب — على هذا القياس — واما الارض فلا تزيد على جزء من مليون جزء من الكهيرب . وليس ثمة ما يحملنا على الظن بأن كرة نصف قطرها ٢٤٠ مليون سنة ضوئية تشتمل على الكون كله . وانما هي ذلك الجزء من الكون الذي نستطيع ان نراه مباشرة او بالواسطة ولا ريب في ان المرقب الكبير المنتظر البالغ قطر مرآته ٢٠٠ بوصة سيكشف لنا آفاقاً كونية جديدة وراء هذه الآفاق القصية .

واذن فلا نستطيع ان نعتمد على الرصد وحده في تقدير حجم الكون ، بل يجب الاستناد الى اساليب اخرى . وهذه الاساليب قائمة على قاعدة من النظرية النسبية . ولكن الارصاد الفلكية ليست بكافية لبناء حكم صحيح عليها ، ولذلك يقول السر جيمز جينز ان كل ما نستطيع ان نقوله ونحن واثقون بما نقول ان ابعاد الكون اعظم جداً من مسافة ٢٤٠ مليون سنة ضوئية وهو بعد ابعد السدم التي نتبينها بأجهزة الرصد الحديث . اما مدى هذه الابعاد وهل هي الفا مليون سنة ضوئية كما يقول بعضهم او عشرة آلاف سنة ضوئية ، كما

يقول البعض الآخر او اكثر او اقل فلا يملك علماء العصر سنداً علمياً كافياً للحكم فيه ..

نلتفت الآن الى موضوع عمر الكون وهو موضوع يختلف في اركانه عن موضوع حجمه وسعته . وهناك طرائق مختلفة لتقدير هذا العمر ولكن ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد . وهي تفضي الى نتائج متضاربة . والمسألة تدور في ابسط اشكالها على قدرتنا على ان ننفذ بأساليبنا العلمية الى ما كان عليه الكون في الماضي السحيق . وليس بالعجيب ان تقل دقتنا كلما تغلغلنا في الماضي .

ان مرقب مرصد جبل ولسن الكبير يمكننا من تبين سدم تبعد عنا ٢٤٠ مليون سنة ضوئية ، فعندما يوجه المرقب الى هذه الاجرام الكونية ، نشاهد اما مباشرة واما بواسطة ما كانت عليه قبل ٢٤٠ مليون سنة لان هذا الضوء الذي نراها به غادرها عندئذ مجتازاً رحاب الفضاء . واذن فهذه الاجرام كانت موجودة قبل ٢٤٠ مليون سنة ولذلك يصح لنا ان نقول ان عمر الكون يزيد على ٢٤٠ مليون سنة. ثم ان هذه الاجرام القصية لا تختلف في اركانها واوصافها الاساسية عن اجزاء اخرى من الكون اقرب الينا منها . واذن يصح ان نستنتج من هذا ان الكون لم يصبه تغير عظيم في اثناء ٢٤٠ مليون سنة . اي ان هذه المدة ليست الا فترة قصيرة في حياة الكون ونشوئه . واذن فعمر الكون يجب ان يكون اضعاف ٢٤٠ مليون سنة ودراسة الارض من ناحية عمرها تؤيد هذا الرأي . ففي وسع العلماء ان يسترشدوا بقواعد علم الجيولوجيا ليتصوروا ما كانت عليه الارض من ٢٤٠ مليون سنة فيجدوا انها لم تكن تختلف كثيراً عما هي عليه اليوم . وهذا لا يبين فقط ان عمر الارض يزيد على ٢٤٠ مليون سنة بل يبين كذلك ان الشمس لم تتغير كثيراً خلال تلك المدة . ولذلك لا بد ان يكون عمر الشمس وكذلك عمر الكون الذي هي احدى شموسه ، اضعاف ٢٤٠ مليون سنة . واذا حللت الصخور المحتوية على مواد مشعة عرف العلماء المدة التي انقضت منذ تجمدت تلك الصخور وقد تبينوا بهذه الطريقة ان اقدم الصخور التي درست على هذه الطريقة ، يرتد تأريخ تجمدها الى ١٧٥٠ مليون سنة ولذلك يصح ان نقول ان عمر الكون على الاقل ١٧٥٠ مليون سنة .

وهناك وسيلة اخرى نستطيع ان نتوسل بها لتقدير عمر الكون وهي القائمة على فكرة تمدد الكون فالسدم التي هي خارج المجرة تبدو — اذا اخذنا بحيود الخط الاحمر — وكأنها تتفرق مبتعدة عنا وبعضها عن بعض . وقد قاس هيوماسون وهبل سرعة تفرقها وابتعادها فاذا أسرع ما قيس منها سائر بسرعة ٤٢ الف كيلومتر في الثانية . وهي سبع سرعة الضوء . والقاعدة المسلم بها بوجه عام الآن ان ابعد السدم اسرعها . وان السرعة تختلف باختلاف البعد فاذا صح ان الكون — اي الفضاء — آخذ في التمدد وان السدم وهي اجزاء منه لا بد ان تبتعد بعضها عن بعض فالأبعاد الكونية المعلومة لدينا الآن تتضاعف بعد الفي مليون سنة اذا استمرت الاجرام مغذة في سيرها بالسرعة التي تستند اليها الآن .

الا ان نظرية النسبية تذهب الى ان الكون لا يمكن ان يمضي في تمدده بمعدل واحد من السرعة بل في الوسع القول بناء على بعض قواعد النسبية ، ان السرعة تزداد بنسبة هندسية ولذلك يقال ان ابعاد الكون تتضاعف بعد ١٤٠٠ مليون سنة على هذا الاساس . وهذا يعني ان ابعاد الكون كانت من ١٤٠٠ مليون سنة نصف ما هي عليه الآن وانها كانت قبل ٢٨٠٠ مليون سنة ربع ما هي عليه الآن . الا اننا لا نستطيع ان نرتد في الزمن على هذا المنوال الى ما لا نهاية له حتى يصبح الكون نقطة مستقرة قبل ان بدأت تتمدد ويقول جينز ان عمليات رياضية معقدة تحمله على الاعتقاد بأن التمدد الكوني لم يبدأ قبل ١٠٠ الف مليون سنة على الغالب . ولكن الرقم المذكور ليس الا رقماً تقريبياً ولا يعتمد عليه . وليس فيه دليل حاسم على عمر الكون . وذلك لان عمليات رياضية اخرى تشير الى انه من المحتمل ان تكون فترة من التقلص الكوني قد سبقت فترة التمدد التي نشهدها الآن .

ثم هناك فكرة جديدة قد يكون لها الاثر في دراسة عمر الكون كأثر (المتغيرات القيفاوية) في دراسة ابعاده . وهذه الفكرة تقوم على مبدأ (توزع الطاقة المتعادل) بين الذرات في الغاز او بين النجوم في السماء . وهذا موضوع في حاجة الى مقال قائم بنفسه لبسطه .

ولكن لا بد من ايجازه هنا . فالاتجاه في ذرات غاز ما الى ان تخسر الذرات التي فيها طاقة تفوق طاقة غيرها وان تكسب هذه ما فقدته تلك حتى يصل الغاز الى حالة من توزع الطاقة المتعادل فيصبح من هذه الناحية في حالة استقرار . والغالب ان يتم هذا التوزع عن طريق الاصطدام بين الذرات . ولكن المسافات الشاسعة بين كواكب السماء تحول دون حدوث

ايمان

للآنسة ثريا ملحس

☆

ناديتني ، فسمعتُ نداك ،
ويا ليت وقراً أصابني ،
أنا لم أزل أمشي ،
أسمعُ حفيف الشجر
وغمغمات الجنّ
وذرذرات السَحر .

***

مشيتُ في الطريق ،
أمامي طريق يتمطى ،
مررتُ بشـاطىء البحر
رأيتك تنطوي في الزبد ،
الى الابد . .
سمعتُ صوتك يصطخب :
في موجـة غبّ موجة ،

***

أنا من تراب سكبتني
أنا نفحة منك
تفجّرتُ من روحك
ألم تسمعني ؟ ؟

***

يا من سمعته ولم يسمعني ،
كبُرت نفسي لـتراك ،
فسقم جسمي . . . .
مسكين هو الذي يسجد

***

سمعت نداك
فكنتُ إنساناً
ويا ليتني لم أسمع .

***

سمعتُ نداك تحت ظلٍ وارف
ناجيتني هناك ، وأوراق الزهور
تصفق حولي ،

هيّجتَ شعائري
فرقصت شياطين شعري :
طرباً وطرباً

***

تذكرتُ هدأة الليل :
في القلق ،
فعزفت قيثارتي
ترفُ لجسمي السقيم :
نفساً متّيمة .

***

رحتُ الى المحراب
لألمّ من روحك كافوراً ،
فصرخ المؤذن في وجهي ،
فزلّت قدماي ،
وبؤتُ على أعقابي لا ألوي .

***

في المحراب . . يا الذي أضلني :
لم أجدك ،
فأين أنت؟؟

اصطدامات طافية لتحقيق هذا التوزع ولذلك فهو يسند الى التفاعل التجاذبي بين النجوم • والمشاهد من رصد النجوم انها على اختلاف كتلها وسرعتها ، تكاد تكون بلغت حالة من التكافؤ في توزع الطاقة بينها ، واذن فحساب عمر النجوم قائم على طول المدة التي لا بد منها لقوى التفاعل التجاذبي لكي تحول النجوم من تباين عظيم بينها في مقادير طاقتها الى حالة قريبة من التوزع المتكافىء او المتعادل والنتيجة التي يخرج بها العلماء من هذا البحث ان عمر الكون من رتبة خمسة ملايين مليون الى عشرة ملايين مليون سنة فما كانت حالة الكون من خمسة ملايين مليون سنة ؟ ان المشاهدة والرصد في عهدنا يدلان على ان الشمس تشع من الطاقة مـا متوسطه ٢٥٠ طن في الدقيقة . فقد كانت ترن امس في الساعة السابعة صباحاً — وهي ساعة كتابة هذه السطور — ٣٦٠ الف مليون طن اكثر مما ترن الآن . فمن مليون مليون سنة كان وزنها يفوق وزنها الآن كثيراً ومعرفة الفرق ممكنة بالحساب وهو يدل على انما فقدته من وزنها خلال ذلك ليس الا ٦ في المائة من كتلتها . ولذلك كانت اعظم اشراقاً مما هي الآن وكانت تشع كل دقيقة ٣٠٠ مليون طن في الدقيقة بدلاً من ٢٥٠ مليوناً . فبعد تصحيح الحساب نتبين ان الشمس حينئذٍ كانت تفوق ما هي عليه الآن كتلة واشراقاً . وقد كان من المتعذر من سنوات ان نصدق ان الشمس تستطيع ان تولد طاقتها بتلاشاة مادتها . ولكن علماء الطبيعة كشفوا خـلال هذه السنوات الكهيرب الموجب (البوزيترون) في المعمل . وهذا حمل الباحثين على الاعتقاد بأن تحول المادة الى اشعاع عمل قائم في المادة الارضية علاوة على تحول طاقة الاشعاع الى مادة . وما زلنا قد توصلنا الى معرفة مصدر للطاقة كهذا المصدر فليس ثمة اعتراض على عد عمر النجوم بملايين الملايين من السنين .

بغداد عبد الخالق عبد الرحمن

المنظر الاول

المكان : جنة عدن–آدم يقطع ساق شجرة حواء نائمة .

حواء : (تستيقظ فزعة) آدم ! آدم !

آدم : نعم يا روح آدم،وقلبه ، و ..

حواء : دعك من هذا الان . لقد حلمت حلماً مزعجاً .

آدم : الحمدلله الذي هو حلم . ولكن . ماذا حلمت ؟

حواء : لقد حلمت اننا طردنا من الفردوس .

آدم : (ضاحكاً) كفانا الله شر ذلك .. ثم .

حواء : ثم ! خرجنا الى صحراء موحشة . واذا انهار من الدم . وسبل وعرة ، وأشواك قاسية ،.

آدم : الحق انك تفتنين بالاحلام . ثم ....

حواء : ولكن اسوأ من كل هذا اننا فقدنا المعرفة التي كانت جزءاً منا . فاذا بنا لا ندري من اين أتينا ، ولا الى اين المنتهى . واختلطت المقاصد والغايات أمام أعيننا ، وضللنا السبل ، فاذا بنا نتخبط في مسالك ، وعرة مخارجها .

آدم : فقدنا المعرفة . مخيف . ولكن كيف فض المشكل في مأساتك الليلية .

حواء : بأننا اخذنا نلهي أنفسنا باعادة حل الطلاسم ، واذا هذا بحد نفسه يصبح غاية .

آدم : جميل

حواء : لا تسخر مني . فهذا ليس نهاية الشقاء .

آدم : وماذا نهاية الشقاء .

حواء : بأن هنالك نهاية . شيئاً يسمى الموت . ولكن الغريب اننا عندما متنا انا وأنت ، كان هنالك آدميون صغار ، وحواءات صغيرات . لهم جميعا نفس صفاتنا ورغباتنا واخطائنا ، ولم يكن الزمن ثابتا واسعاً ، لا نهائيا ، ولكنه كان دولاباً يدور ، واذا بهؤلاء قد صرعوا وحل مكانهم جيل جديد يتصفون بنفس الصفات والمميزات ، ومن هولاء خرج جيل جديد ، وهكذا وكان دوران دولاب الزمن يسجل لهم اعماراً .

آدم : (يقهقه ضاحكاً) آدميون صغار ، .. وحواءات صغيرات . يا لك من مركب غامض . فاية احلام غريبة يتفتق عنها ذهنك هذا .. آدميون صغار ، وحواءات صغيرات



بقلم الانسة نجوى قعوار

(يعود آدم الى الضحك) ونحن ؟ ماذا يحدث لنا ؟ آه ! لقد تذكرت نكون في العدم والوجود سويا . لقد أثرت خيالي بحلمك هذا ! ولكن من أين تأتي الحياة الى هؤلاء الصغار من الآدميين والحواءات .

حواء : لست أدري . رأيتها تتسرب منا

آدم : عظيم . حلم منسجم رغم غرابته وشذوذه . ثم .

حواء : لو ان هذا الحلم الغريب بصراع .

آدم : صراع ماذا ؟

حواء : لقد تنازعت فينا قوتان . فقد كنا في بعض الاحيان كهذه الملائكة اللطيفة التي تطل علينا من شرفات الجنان ، وفي بعض الاحيان كنا نستحيل الى اشياء قبيحة ، كهذه الشياطين الداهية التي تشرئب من الارض وتسعى في زوايا جنتنا .

(آدم يترك الشجرة ويتقدم من حواء)

آدم : حواء . هذا ليس حلما . هذه رؤيا . ولكن الاتظنين ان هذه هي حقيقة الحياة ، اي انه هكذا يجب ان تكون الحياة . ولكن أنى يحدث مثل هذا .

حواء : تنهض وهي تحدق بالافق البعيد ، وتهب أنسام تداعب شعرها الاسود الطويل .

حواء : (وكأنها تحدث نفسها) نعم ! ما قيمة المعرفة الجاهزة ، وما قيمة الخير دون ان يكون وليد الارادة . كل شيء معروف لنا . البحر . النجوم .. اسرار الحياة . ولكن دون اي مجهود .

آدم (بعد لحظات) الى اين ترغبين الذهاب اليوم ؟.

حواء : الى ذلك النجم الذي ظهر فجأة في الليلة الماضية .

آدم : هيا بنا .

حواء سويا ؟

آدم : طبعاً .

حواء : اريد ان اجرب الوحدة .

آدم : انها قاسية مرة ، تشعر المرء بأنه ناقص ، بأنه قد أضاع شيئاً . لقد جربتها .

حواء : ولكني احب أن اجرب هذه الخبرة . فأنا اشعر بأن المرء يكون كاملاً ، في غمرة من الفيض والالهام وهو في احضان الوحدة الصامتة الساحرة .

آدم : ولكن لن أسمح لك بالذهاب.

حواء : لله ! من جعلك حاكما عليّ .

آدم : ألست ضلعاً مني .

حواء : أنت مخطىء .. في ضلع منك .

آدم : هذا تشويه للحقائق .

حواء : بل هذا هو صلب الواقع .

وعلى كل حال ، يجب الا يقلقك ذهابي ، لاني ساعود سريعاً . وداعا .

آدم : وداعا . (حواء تختفي)

آدم (لنفسه) لقد بدأت حواء تمل حياة الجنة . يا الهي ! ما هذه الكآبة الحزينة التي تخيم على المكان . انها كتلك التي كانت تسيطر على الجنة قبل أن تحل فيها حواء . ها هي الاشجار تنكس اغصانها ، والطيور تلجأ الى اوكارها وقد زهدت في الغناء ، وكذلك الازهار انها تبدو شاحبة ساهمة ، وكانت من قبل بهية مشرقة .

يجلس آدم . ثم يسمع صوتاً لطيفاً ، فيلتفت الى مصدر الصوت .

الملاك : آدم ! مالك ساهم حزين . اين حواء .

آدم : لقد ذهبت تكتشف .

الملاك : وهل انت سعيد مع هذا المخلوق الجميل .

آدم : نعم . ولكن هي لا تستقر ولا تهدأ . ثم هي تفكر .

الملاك : وهل كنت تحبها ان تكون عديمة التفكير .

آدم : نعم .

الملاك : ولماذا ؟

آدم : لان التفكير يجعلها مخلوقا صعب القياد ، يميل الى الاستقلال .

الملاك : ولكن جميع المخلوقات تحسدك على هذا المخلوق الجميل ، الذي وهبه الله حسن المنظر ، وجاد عليه بأسمى النعم . نعمة التفكير . ولكن اين ذهبت حواء .

آدم : (يقفز فجأة) الى أين . لست أدري . لقد ذكرت أنها ستذهب الى النجم الذي ظهر فجأة ، ولكني لم انتبه الى اي النجوم ظهر فجأة . يجب ان اذهب لافتش عنها .

(يخرج آدم)

(الملاك لنفسه) الظاهر ان الانسان سيكون اتعس المخلوقات . وحواء هذه سيكون لها شأن كبير . لقد القى احد الملائكة اثناء صنعها كمية كبيرة من النار .

(يطير الملاك وتسمع رفرفة اجنحته فوق اشجار الفردوس)

يسدل الستار

بعد ملايين الملايين من السنين تطرأ على الارض تغيرات طبيعية تجعلها غير صالحة لسكنى الجنس البشري ، ويكون الانسان قد حل كثيراً من الغاز الطبيعة ، وتوصل الى معرفة اسرارها ولكن حالة الارض لا تمكنه من الحياة فينقرض ، ولا يبقى الا آدم واحد ، وحواء واحدة وها هما وقد اعتزما الرحيل الى احدى النجوم ليجربا صلاحية الحياة فيها .

المنظر الثاني

آدم : لقد دنت النهاية .

حواء : (تنظر الى النجم) نحن على ابواب حياة جديدة .

آدم : هل تؤمنين بأن تجربة الحياة ستنجح على ذلك النجم .

حواء : أو من بان الفكر الانساني لم يوجد لينقرض . هو لمح من الله . والله أزلي ابدي .

آدم : ليتنا انقرضنا مع الجميع ... وفي وطننا هذا .. الارض .

حواء : علينا ان نمثل دور الرواد .

آدم : مهمة شاقة ... مسئولية كبيرة فأنا اشك بمسألة الجاذبية ، وان كانت كمية الحرارة ستناسبنا . (يلتفت الى حواء) لقد مرّ ببالي خاطر .. اتظنين ان آدم وحواء الاولين ، كان بامكانهما ان يؤمنا بامكانية استمرار الحياة بعد خروجهما من الجنة ، وعلى نحو لم يألفاه هناك .

حواء : قولك هذا يذكرني بحلم الليلة

آدم : وماذا حلمت .

حواء : لقد حلمت اني واياك كنا واقفين في جنة . فاذا برجل وامرأة يخرجان من بين الاشجار وكان منظرهما غريباً جداً واقترب الرجل منك ، واقتربت المرأة مني ، وحدق كل منهما بي وبك ، ثم قال لك الرجل « او لست انت انا » وقالت لي المرأة « او لست انت انا » والتفتت المرأة الى الرجل وهي تقول له . ألم اقل لك اننا كنا دائماً في العدم وفي الوجود . الم احدثك عن الآدميين والحواءات ، وعن عجيبة الحياة الجديدة . انظر الى هذه الطريق البعيدة ، واشارت بيدها نحو الافق . ألا تبصر آثار الصراع الذي حدثتك عنه ، وآثار الجهود التي بذلت في سبيل حل الطلاسم . كل ذلك قبل ان خرجنا من الفردوس وقبل ان يمر بخلدنا اننا سنخرج يوماً من الفردوس

واجاب الرجل اذكر انك حدثتني بكل هذا في اليوم الذي طرت فيه الى النجم تكتشفين ، ولكنك حتى الآن لم تخبريني ماذا وجدت في ذلك النجم واشرق وجه المرأة عندها وهي تجيب . « عظيم . عالم جديد . الافق ليس كذاك الذي ألفناه ، ولا الانوار ، ولا المياه . الالوان ليست كتلك التي في جنتنا . هنالك بلور وزبرجد . هنالك فضاء لا نهاية له . هنالك أقمار تتلألأ ، اقمار كبيرة مشعشعة ، وبحار ذهبية اللون ، تسبح فيها الملائكة ، وعندها روعني الحلم جداً ، فاستيقظت ، فاذا بك لا تزال ساهراً ، مشغولا بعملياتك الحسابية وبالصاروخ الذي سينقلنا الى العالم الجديد

آدم : (دون ان يرفع عينيه عن اوراقه) يا لهذه الوسيلة الرائعة في الاغراء ، تنقلينها على لسان حواء الاولى . حواء الاولى تكتشف النجم الذي نسعى للوصول اليه الآن وتجده جميلا رائعاً ، كل ذلك ، حتى قبل ان تخرج آدم الاول من الجنة .

حواء : انت لا تصدقني .

آدم : لست اعني اني لا اصدقك ولكن اغبطك لانك تستطيعين ان تحلقي ملاذاً من الخيال في هذه الفترة من القلق البالغ . اما انا فقد اصبحت مجموعة من العمليات الحسابية . انت تحلمين بالجنان الوارفات ، والملائكة التي تسبح في البحار الذهبية واما انا ففي يدي سلاسل وقيود من الارقام ومواليد الارقام تحول دوني ونعمة الانطلاق .

حواء : لقد فقدت الايمان .

آدم : هذا هو عين الحقيقة . ففكرة الهدم والبناء لغير غاية هي التي تسيطر على نفسي الآن . ولكن لقد ذكرت من لحظات شيئاً عن الفكر الانساني ، ادخل على نفسي قبساً من النور . انه افضل على كل حال من حلمك الاهوج هذا .

حواء : حلمي ليس اهوج، وسأذكرك به عندما يتحقق ، كما ذكرت حواء آدم بتفاصيل حلمها عندما اتخذت الحياة هذا الشكل وهذه الالوان .

آدم : ولكن ماذا قلت عن الفكر الانساني .

حواء : لقد حاولت ان اقول انه اسمى ما في الوجود ، لانه الجهاز الوحيد الذي يدرك وحدة الوجود ، وهو الذي يربط العوالم بعضها ، ويجعل للحياة قيماً وموازين ومقدرات . ان في الفكر الانساني تحيا النجوم العظيمة ، والفضاء الواسع ، والبحار الزاخرة الى آلاف الصور والمحسوسات ، بما فيها من حركة ولون وشكل ، ونحن علينا ان نحافظ على هذه القوة العظيمة التي تستطيع ان تنطلق الى مظاهر الوجود ، وتتفاعل معها وتتأثر بها ، وتؤثر فيها .

آدم : اثباتات لا بأس بها ، بشأن قيمة الفكر الانساني .

والآن كل شيء جاهز ماذا بقي لنا من الطعام .

حواء : لقد استطعنا ان نحتفظ بكمية من الموز والكاكاو والحليب ، وجوز الهند ، والخضار .

آدم : اذن . هيابنا .

حواء : انتظر قليلاً . لقد خبأت شيئاً .

آدم : ماذا خبأت .

حواء : تفاحة .

آدم : ستجر علينا الويلات .

حواء : بل هي رمز حياة جديدة .

آدم : أخائفة انت .

حواء : أبداً .

آدم : امؤمنة اننا سنحيا في النجم الجديد .

حواء : كل الايمان

آدم : وعلى ماذا تبنين ايمانك .

حواء : الايمان لا يحتاج الى اثبات .

آدم : والى ماذا يحتاج اذن .

حواء : الى ايمان بقوة الايمان .

آدم : كلام الرسل والروحانيين .

حواء : لن نصل الى هناك ان لم نكن اصحاب رسالة .

آدم : انت متفائلة جداً .

حواء : ان لم تكن متفائلاً ، فالافضل ان نبقى هنا ، فنحن عندها سنكون كجنود يقتحمون المعركة دون اي سلاح .

آدم : قلت لك ان خيالك اثمن من علمي

حواء : الخيال والعلم صفتان من صفات العقل البشري . ولكن ها هي ثلاجة هائلة تزحف نحونا .

آدم : من سيدخل الصاروخ أولا .

حواء : انا ، فحواء كانت اول من خرج من الفردوس ولكن امؤمن انت بأني واياك سنسجل بداءة دورة جديدة في تاريخ المجتمع البشري .

آدم : لا شك ان بمثل هذا الكلام اخرجت حواء آدم من الجنة . مؤمن ؟ نعم ! ايمان استمده منك يقودني في المسالك الوعرة . كتلك المسالك الدائية الشائكة التي عاش فيها البشر اجمعون صلي الى الله ليجعل خيالك نبراً مشرقا .

حواء : ويجعل ارقامك صحيحة ، لا تورطنا في مزالق لا مخارج منها .

آدم : والآن بماذا نودع الارض .

حواء : بأن نقول لها . وداعا ايتها الرؤوم . لاننا لن نلتقي بعد ، فاغفري لكل صخب الانسان وضجيجه ، لكل هفواته واخطائه ، اغفري له قلقه الدائم ، وحيرته المحزنة ، اغفري له حب استطلاعه ورغبته في المعرفة . انك تنهارين ايتها الارض ولكننا سنحفظ في قلوبنا الجمال الذي كان يزينك . جبالك ووهادك ، بحارك وانهارك ، زهرك وشجرك ، نهارك الابلج وليلك الساجي ، والالوان التي تزينك ، والعبير الذي يتضوع منك ، سنحفظه كله في قلوبنا ، نحدث به الاجيال المقبلة ، ولا نخالهم ينظرون اليه الا نظرهم الى فردوس مفقود . آدم ... أحضر حفنة من التراب .

« آدم يحمل حفنة من التراب . يدخلان الصاروخ ، فينطلق بسرعة فائقة » .

« يسمع على الارض زحف الجليد ، وتهافت الثلاجات العظيمة ، وكأنها فحيح الافاعي ، يرافق ذلك صوت العواصف الثائرة ، والاعاصير اللولبية ، يرن صداها وكأنها اشباح جائعة في صحراء موحشة ، تزحف الظلمة ، وتغشى سطح الارض .

بدل الستار

الناصرة نجوى قعوار

صلاة الشاعر

☆

يا نديمي لم يبقَ غير الشراب مؤنساً لي في وحدتي واغترابي
فاسقنيها حتى أغيب من اليقظة الحمراء في نشوة الأماني العذاب
ما عرفت الحياة الا شقاء تتلظى كلمحة من سراب
انا والليلُ في الشرود كلانا موجع الروح ، مرهق الاعصاب
يا نديمي انا غريبٌ عن الارض غريب عن عالمٍ من تراب
انا من طينة الخلود براني الله روحاً ترف فوق السحاب
في دمي ثورة الأبي على الظلم وفي خاطري انطلاق الشهاب

الدامور محي الدين الفيل



سمعتُ أناشيد علوية أعاد صداها الفضاء الرحيب ،
فلحنٌ له نبرة عذبة ، ورجيع شجي ، أنيس ، عجيب .
تهادى كموج الأثير اذا حداه النسيم البليل رُخاء ،
وشعَّ كنور زها في العلى ، فطاف سناء وفاض رواء ،
ووشي الرحاب بلونٍ بدا مزيجاً لألوان طيف ذُكاء ،
وفاح أريجاً كزهر الربى أذاع شذاه الصباح الرطيب .
فأعجب لِلَحن تآلف فيه جرس ونور ونشر غريب ،
هدوء لطيف سرى في الحشا خشوعاً وسرَّ أجنَّ الخفاء .
وطار الفؤاد شعاعاً الى مغاني البهاء وراء التخوم .
هناك يوقع لحن الخلود رهطُ الشموس وزُهر النجوم ،
فيجري الزمان على وقعه ، وليس ابتداء وليس انتهاء .
أنا قد ثملتُ بذاك الرنين دهراً تقضّى كيوم قصير ،
فهيهات اصغي الى نغمة من الأرض تأتي كروح أسير ،
وهيهات يحلو لنفسي صدى ولو رجّعته اليَّ السماء .

بغداد صبر بصري

الاستعارات المستهجنة في الشعر العربي

بقلم نقولا الحداد

ممتاز

الشعر نظماً او نثراً عن الانشاء المسترسل بما يزخرفه من المجاز استعارة وتشبيهاً . ولولا المجاز لما عد الشعر فناً جميلاً ولا عد أشرف من الكلام المسترسل ، لان المجاز مبالغة في الحقيقة الناصعة الطاهرة من الشوائب . وبهذا المجـاز تشترك الفنون الجميلة جميعاً مع الشعر . بيد ان الشعر يمتاز عنها بانه يبتدع من الطبيعة جمالا ليس فيهـا او هو اسمى من جمالها . والموسيقى تمتاز عن الجميع بانهـا تبرز للحس (السمع) من ثنايا النفس جمال النفس بالذات ، او هي مرآة ترى فيها النفس عواطفها واهواءها .

ولماذا يرفع المجـاز الصورة العقلية المتخيلة او الشكلية عن مقام الحقيقة ؟ .

لان المصور او الرسام او النحات يجمع رسومه من محاسن الطبيعة المتفرقة المشتتة ويختار اجملها والذها للذوق . ويضرب صفحاً عن مستهجناتها او ممجوجاتها . والممثل الذي يمثل الحركات الطبيعية السليمة ويتحاشى النافر منها والشاذ يعد ممثلًا بارعاً .

ولما كان الشاعر جوالا في رحاب الذهن والمخيلة كان ايسر له من سائر الفنيين ان ينتقي مـن الطبيعة خلاصات جمالها ويركب منها جمالا جديداً غير موجود بكليتـه في الطبيعة نفسهـا فهو كالكيماوي الذي يركب من عناصر المادة مركبات غير موجودة في الطبيعة تفوق قيمة على مركبـات الطبيعة نفسها . لا نتعرض للشعر الفلسفي او الحكمي او الاخلاقي او الروائي .

الشاعر يختار من محاسن الوجود ما تقتضيه الصورة التي يتصورهـا في مخيلته ، ويسبكها سبكاً يستهوي النفس ويأخذ باللب . واداته في هذا السبك المجاز من استعارة او تشبيه . ومن شواهده قول الحريري : —

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبرِ
فزحزحت شفقاً غطى سنى قمرٍ وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطرِ

فترى انه يرفع برقعها القاني المادي الى صورة الشفق النورانية ، ومحياها الى سنى القمر ، والفاظها الى صورة اللؤلؤ النفيس ، وفمها الى شكل الخاتم الذهبي ، وقد اضاف اليه نفح العطر . فهو بالاجمال رفع المشبه عن درجته الى درجة نفاسة المشبه به وهي اسمى .

ومن ذلك قول القائل : —

وتحدَّث الماء الزلال مع الحصى واتى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأنَّ فوق الماء وشياً ظاهراً وكأن تحت الماء درًا مغمرا

فترى انه استعار للجماد حياة ، والحياة اشرف من الجماد ، اذ منح المشبهات الجمادية صوراً حيوية متحركة فنسب لمرور النسيم على الماء فعل التحدث لكليهما . ثم نسب لحديثهما صفة الوشي : التطريز او الوشاية (وهنا تورية) ثم رقى الحصى تحت الماء الى در مكنون .

وليس الغرض من هذا المقال بيان مـا هو المجاز وعناصره وانما غرضي ان اقول ان الشاعر اذا رام مجازاً اتى بما هو اسمى من الحقيقة وانبل . ولكن بعض الشعراء تغاضوا عن هذا القصد ، وبعض اشعارهم لم يتوخ في مجازها هذا القصد النبيل فتدهورت من منصة الحسن الى درك القبح وانقلب القصد الى ضده .

وربما كان العرب اكثر الامم اسرافاً في المجاز فتمادى فيه بعضهم الى هذا التدهور ، لان كل همهم كان ان يخترعوا الاستعارات والتشـابيه الخارقة من غير نظر الى فن الجمال او استمتاع الذوق بها ، فجاء منها ما يمجه الذوق او تستهجنه النفس ، فمن ذلك قول ابن معتوق :

ودنت الى فمها اراقم فرعهـا فتكافت بحفاظ كنز الجوهر

على الرغم من ان الاراقم اخبث الحيات واطلبها للناس .

وما اشد التباين بين قوله هذا وقوله :

سفرت فبرقعها حجاب جمال وصحت فرنحها سلاف دلال

وهو من ابدع مطالع القصائد :

والغريب في المتنبي وهو فيلسوف الشعر واسع الخيال بديع التصور ينقصه شيء من حسن الذوق في قوله :

من الجآذر في زي الاعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

والجؤذر هو ابن البقرة الوحشية . ووجه الشبه هنا هو العيون وعيون الجآذر في نظره ونظر كثير من الشعراء جميلة . وبمقتضى المجاز يجب ان تكون اجمل من عيون الحسان . فهل هي بالحقيقة اجمل منها ؟ فاذا غضيت النظر عن عيني الجؤذر لا يبقى فيـه الا الوحشية . فتصور حساناً بشكل البقر ترعى في الخمائل . او تصور بقراً مكسوات بالجلابيب ومحلاة بالحلي فما هذا المجاز الفظيع ؟

قل نعوذ بالله من هذا الفن البديع .

ومثله قول آخر : عيون المهى بين الرصافة والجسر . . . .

ومن امثال هذه الفظائع الاستعارية قول احدهم :

خطرت كميَّاد القنا المتأطر ورنت بالحاظ الغزال الاعفر
وأتتك بين تطاعنٍ وتداعب في فتك قسورة وعطفة جوذر

فبالله كيف تكون عطفة الجؤذر .

وقد اوغل العرب في هذا الضرب من التشبيه وصرنا نرى المهى والظباء والآرام تقوم مقام الغيد الحسان حتى كدنا نتوهم ان هذه الحيوانات معبودات العشاق .

وكم في العيون للشاعر من ثروة البدائع المجازية التي ليست في غيرها من قسمات الغادات . ففي العين سحر هاروت والشعر وفي حدقتها مرآة الحسن والبهاء وفي لحظاتها ومضات الكهرباء وفي نظراتها معان لا حد لها . واذا شاء الشاعر فلا بأس ان تكون فيها ايضاً سهام تخترق الصدور الى القلوب التي تنوب عن النفوس اللهم انها لا تجرح ولا تسفك دماً يقشعر منه البدن .

وفي معلقة امرؤ القيس قذارة لم يتشح الشعر بمثلها في قوله :

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنهـا حبُّ فلفل

(وقد اشبع حركة الكاف ليعتدل الوزن) .

يشير هنا الى محلة الاحباء بعد ترحالهم منها حيث كثر هناك بعر الارام في الدمن وقد شبهه بحب الفلفل . وكأنه لا يرى تشبيهاً للبعر الا حب الفلفل الذي يطيب به الطعام . اجل لقد رفع قيمة البعر جداً الى حد ان يتخيل الذهن البعر في الطعام . والحمد لله انه لم يشبه الفلفل بالبعر . ولا فرق بين ذلك التشبيه وعكسه . افلا تقز النفس من هذا التشبيه القبيح ؟ الا يتقيأ المرء اذا لاح هذا التشبيهُ في باله ؟ وما اشد التباين بين هذا التشبيه وتشبيه شاعر آخر يصف روضة في ربيع ! .

ان هذا الربيع شيء عجيبٌ تضحك الارض من بكاء السماء
ذهبٌ حيثما ذهبنـا ودرٌ حيث درنا وفضةٌ في الفضاء

وقد زان هذين البيتين الجناس الذي فيهما المعنوي في الاول واللفظي في الثاني .

وكقول آخر .

تفترّ عن لؤلؤ رطبٍ وعن برد وعن أقاحٍ وعن طلع وعن حبب

او :

والطل في سلك الغصون كلؤلؤ رطبٍ يصافحه النسيم فيسقط
والطير تقرأ والغـدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقّط

او :

الافق يبسم والطيور صوادحٌ والنهر يرقص والغصون تصفّق

ومن الشعر الذي يتغنى به اليوم للجمع بين جماله وموسيقاه ، ولكنه منفر للذوق ، مطلع القصيدة المشهورة :—

نالت على يدها ما لم تنـله يدي نقشاً على معصم اوهت به جلدي

ولا نرى في هذا المطلع الا معنى فارغاً واسخف منه صدر البيت الذي بعده .

كأنه طرق نمل في اناملها . . . .

الا يشوقك في يدها الا ان ترى النمل يسير على سلافهـا . ولكن قد يحول اشمئزازك فيه الى ارتياح رونق عجز البيت .

. . . . او روضة رصعتها السحب بالبرد

فاذا رددت العجز على الصدر سترت تلك السخافة . وبعد هذين البيتين فالقصيدة من عيون الشعر .

ومن مستهجنات التشبيه استعارة الكلب للود الخالص قول الشاعر .

انت كالكلب في حفاظك للودّ وكالليث في قراع الخطوب

لا ريب انه لا مزيد على وداد الكلب واخلاصه وليس في الناس من يفوق الكلب في الاخلاص . واذا ارتقى الانسان في الود والاخلاص بلغ الى درجة الكلب . ولكن اذا جردت الكلب من وده فلا يبقى منه الا النجاسة وتصورك ود الكلب لا يصرف ذهنك عن تصور نجاسته .

وقد اسرف الشعراء في كل عصر في تشبيه العيون بالسهام والنبال والحواجب بالسيوف والقدود بالرماح وهي كل ما كان للعرب من سلاح في الحروب ، وقد كانوا في حروب على الدوام . فلا بدع ان يتمادوا في هذا التشبيه بالاسلحة حتى كأنك في حرب لا هدنة فيهـا . ولكن البدع في ان يحذو شعراء هذا العصر حذوهم وعندهم من انواع التشبيه الجميلة ما لا يحصى . لا اظن شاعراً قط اعتزل هذا الضرب من الاستعارة . وفيما انت تقرأ يخيل لك ان الحسناء المتغزل بها سفاكة دماء شانة عليك حرباً عواناً . لماذا ؟ . الله اعلم . فمن ذلك قول ابي قلاقس :

عقدوا الشعور معاقد التيجان وتقلدوا بصوارم الاجفانِ

(وهذا تشبيه بديع)

ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم هزَّ الكماة عوالي المرّان
وتدرعوا زرداً فخلت اراقماً خلعت ملابسها على الغزلان

فانظر كم في هذه الابيات من ادوات الحرب فضلاً عن الاراقم التي مما يهلع لها القلب . فكيف يمكن ان تثير الحب ونحن الآن في عصر تقشعر فيه الابدان من ذكر الاسلحة الهائلة وسفك الدماء الزكية ومن الاشارة الى كل حمرة تذكرنا بالدم .

ولا يصم القصيدة التي ادعاها سبعون شاعراً لما فيها من الرقة الا التشبيه الحربي في البيتين الاولين منها :

صاح في العاشقين يا للكنانه   رشأ في الجفون منه كنانة
بدوي بدت طلائع لحظيـه   فكانت فتاكة فتانة

ثم قولهم في بيت آخر :

وغزانا بقامة وبعين   تلك سيافة وذي طعانة

عجباً ايمكن ان يكون هذا السياف الطعان بهذه الرقة في قولهم :

وارانا وقد تبسم برقاً   فارِيناه ديمة هتانه
خطرات النسيم تجرح خديه ، ولمس الحرير يدمي بنانه

الى آخر هذه القصيدة التي تسيل رقة .

ثم تالله ما هذا الحبيب السفاك الذي تقيم حمرة خديه شاهداً على سفك دم المحب كقول شوقي :

جحدت عيناك زكي دمي   أكذلك خدك يجحده
قد عز شهودي اذ رمتا   فاشرت لخدك اشهده

وقول الحصري :

يا من جحدت عيناه دمي   وعلى خديه تورّده
خداك قد اعترفا بدمي   فعلامَ جفونك تجحده

وكثيراً ما اغرم الشعراء بسفك المعشوقين دماء العشـاق في سبيل العشق كقول بعضهم :

وما احمرّ ذاك الخد واخضرّ فوقه   عذارك الا من دم ومرائر

يعني ان العاشق تفجر دمعه دماً وانشقت مرارته من شدة الشوق والجوى . ومثله قول آخر :

وما اخضر ذاك الخال نبتاً وانما   لكثرة ما شقت عليه المرائر

فتصور مرارة العاشق المشقوقة تسيل عصارتها على خد المحبوب ودم العاشق يذرف على وجنتيه . فهل اقبح من هذا الخيال الشعري . وما هو الا براعة المخيلة في الاختراع . واذا كان العاشق يشق مرارته لشدة غرامه فهل يستسيغ ان يسكب سائلها المر الحنظلي على خد الحبيب . لله ما هذا الذوق المرير وما هذا الحبيب الذي يطيق هذه المرارة ؟

ومن مستقبحات الاستعارات قول احدهم :

وخال قد تضمنه عذار   يروق العين ان نظرت اليه
كشحرور تخبأ في سياج   مخافة باشق يسطو عليه

فهل يروق لك ان ترى على خدي الحبيب اشواك سياج ؟

ان في الشعر العربي خواص لا اظن لها مثيلاً في الشعر الاوروبي او الاجنبي على الاطلاق . فما من شاعر الا شبه المحيا بالبدر ووجه الشبه النور . وشعراء هذا العصر يعلمون ان القمر صخرة بركانية صماء جرداء وان نوره منعكس ضوء الشمس افلا يأنفون ان يشبهوا حسناءهم بهذا القمر الجلمد الصلد حتى انهم لا يتورعون ان يشبهوها بالشمس ، وحرارة الشمس على سطحها ٦ آلاف درجة من مقياس سنتغراد . ولا سيما لان استعارة الشمس والقمر اصبحت مبتذلة جداً

ومن الشعر ما يُعجب القراء به لما فيه من تناسق الاستعارة وبراعة التخيل من غير مراعاة الذوق فيه وقد يكون تحصيل حاصل او معكوس الشبه بحيث يحط من قدر المشبه به كقول شهاب الدين الاعزازي :

فقن الظباء سوالفاً ونحورا   والخيزران معاطفاً وخصورا
ونظرن غزلاناً وفحن خمائلاً   وخطرن اغصاناً ولحن بدورا

فترى انه جعل للغزلان سوالف ونحوراً وللخيزران عواطف وخصوراً لكي يستعيرها للحسان . وليس للغزلان ولا للخيزران شيء من هذا حتى يستعيره . ثم استعار لهن نظرات الغزلان وليس للغزلان نظرات تفوق على نظرات الغادات لا في المعاني ولا في السحر . واستعار تمايل الاغصان لخطرات الحسان فاين تلك من هذه . كل هذه الاستعارات تشريف للمستعار منه لان المستعار له اسمى واحلى وانبل وفي قوله ان هذه المستعارات له فقن المستعار منه تحصيل حاصل .

واي شاعر من الشعراء في كل عصر لم يشبه العين بالنرجس والعذار بالآس واطراف الاصابع بالعناب والاسنان بالبرد واللؤلؤ والخال بالعنبر والخد الاسيل بصحن مرمر الى غير ذلك من التشابيه التي اصبحت مبتذلة جداً وليس فيها تشريف للمستعار له او المشبه او انها تزيده قيمة وجمالاً وما هي الا من قبيل البراعة في الاختراع كقول شوقي :

موجة اثر موجة اثر اخرى   كهضاب مادت بها البيداء

تشبيه بديع جداً ولكنه معكوس لا يشرف الموجة ولا البحر اذ لا يزيدهمـا عظمة وفخامة وروعة وقوة بل بالعكس يسلب منها هذه المزايا ويحط من قدرهما لان البيداء ساكنة والبحر نشيط ولكنه لو قال .

هضبة بعد هضبة بعد اخرى   كخضم هاجت به الامواج

فرفع شأن البيداء وهضابها اذ ينسب اليها حركة وقوة ليست لها . على ان عذره هو ان يصف البحر الهائج لا البيداء المطمئنة فانعكس قصده .

حبذا لو ينبري اديب واسع الاطلاع ويكتب رسـالة او كتابا في خواص الشعر العربي كالعذول واللاحي والرقيب وظاهرات الحب كالشوق والجوى والبكاء فما من عاشق الا بكى وذرف دمعاً الى غير ذلك مما يتداوله الشعراء . ثم يعلل لنـا هذه الظـاهرات الغزلية التي درج عليها الشعراء من غير تحقق عما اذا كانت مستحسنة او خالية من حسن الذوق .

القاهرة   نقولا الحداد

مقتبسة عن الادب اليوناني الحديث

الخمرة الممزوجة

للشاعر يوانس بوليمي

☆

ضاع منه كل شيء، وفقد كل شيء:
امرأته واولاده وغناه،
وكل ما يملك من حطام الدنيا.
وفقد في نفسه تعزيتها،
وتسربت في شعابها وحشة القنوط المميتة،
وكأنه اصبح عند من يعرفه نسياً منسياً،
لا يثير فيهم شعور الاهتمام به والمبالاة بما آل اليه أمره.
وما كان أقسى على نفسه في مرارتها أن تفقد حتى تعزيتها!

***

ومن ينظر الى عينيه في نظراتها المتقلقلة الزائغة
لا يتردد في ان يتيقن من أن وعيه قد اختل توازنه واضطرب في انذهاله وشروده وهذيانه،
ويتراءى له قلبه صحراء مقفرة تسودها اشباح الخيبة واليأس بعد أن تسال منها في شحوب باهت اي لون من الوان الامل.

***

هكذا يبدو لمن ينظر اليه،
وكأنه وقد تحجر فيه صدره
وثقل صدره بأعبائه وهواجسه وهمومه
انقاض تتداعى فوق انقاض،
والزمن يمر في تؤدة ويطأ تلك الانقاض في سير متباطىء متمهل،
وهذا المسكين.
يعيش ولا يدري لماذا هو عائش،
يعيش ولا يدري لماذا يبقيه الزمان ليستمر في عيشه هذا، المجهول الغاية التائه الارادة!

***

ونادى الخمار قائلا:
— تصب عليك النقمة
واللعنة ايها الخمار،
انت ايها الخمار السارق!
سارق، سارق انت!!
الخمرة الخمرة لم تمزجها!
لِمَ تمزجها ولا تبقيها خالصة في مزاجها حادة في قوتها!
أشربها في لونها الاشقر،
وأشربها في لونها الاحمر،
اشربها في لونها الدامي المتفجر ولكنني لا اسكر!
لِمَ لا تؤثر فيَّ، لِمَ لا اسكر!
فعليك النقمة واللعنة ايها الخمار
سارق، سارق انت!

***

لم آتِ اليك لأنعم بلحظة من الانبساط والسرور
لم آتِ لتغمرني موجة من الفرح والحبور
انما أتيت،
أتيت لأشرب حتى الثمالة.
فأضيع في مجاهل النسيان بالقرب من اشباح الموت.

***

وملأ له الخمار كأساً اخرى.
وعلى شفتيه ابتسامة تغلفها مسحة من الحزن والكآبة، ورد عليه قائلا:
ما ذنبي انا وما جريرتي؟!
وهل الذنب ذنبي.
اذا كانت هذه الدموع التي تذرفها بسخاء لا يعرف التجلد والصبر تتساقط نقطاً متتابعة في كأسك!
ما ذنبي ان انت لا تسكر وان انت تبكي!
ما ذنبي اذا كنت تمزج خمرتك.
بدموعك وعصارة قلبك!

يافا   توفيق البازجي

نافخ البوق



بقلم اديب مروة



عقوب الدقائق ، صباح يوم ، قد حبا نحو الرقم الثاني عشر في المنبه وكان صنوه الآخر قد ربض فوق الرقم الرابع حين افلت قوس الجرس واستمر في رنين مزعج متواصل ، لم يستطع معه « سجعان البوري » من مواصلة رقاده في الفراش ، فهب متململاً لقس النفس ، واشعل السراج وقد امتدت يداه عفواً الى عينيه تفركهما بكسل وخمول . فعليه ان يكون بعد نصف ساعة في المعسكر ليطلق صوت بوقه معلناً النهوض من النوم . واخذ بارتداء ثوبه العسكري مسرعاً وهو يحاذر أن يأتي بحركة قوية تقطع على امرأته واولاده حبل اغفائهم الهني . .

دفع نفسه في الطريق بسأمة وأخذت اقدامه تسير خبباً وهو لاينظر الى ما حوله من الاشياء التي الفها كل ليلة ، وكيف يطيق رؤية جدران ومنازل واشجار لا يزال يمر بها في مثل هذه الساعة منذ عشرة أعوام . . . حقاً كم يتغير البشر وتبقى الجمادات ازلية في كثير من الاحيان لا تعرف للتبدل والتطور من معنى . وكان يمشي مشيته الاولى التي وطأ بها هذا الطريق في بدء عمله . . . ولكن هذه السنين الطويلة التي تراكمت على كاهله حتى افقدته كل حس أو شعور بالحياة ، تنتفض اليوم انتفاضة اليائس المكبوت وتهب تصفع مخيلته المطوية وذهنه المتبلد العاطل . فيفيق وكأنه مضى عليه يوم واحد في هذا العمل ، ويفكر بما سيقوم به في نهاره هذا من الاشغال ، كأنه يحاول تناسي برنامجه اليومي ، أو يتوق الى تصور شيء جديد ربما يكون غريبا عنه . فهو سينفخ الآن نفير الاستيقاظ ، وبعد فترة وجيزة يعلن تهيؤ الفطور ، ومن ثم يأخذ في قضاء حاجات الضباط وخدمتهم ، وعند الظهر يدعو الجنود الى الغداء ، وفي المساء يطلبهم الى العشاء ، وبعده بوقت محدود يدق نفير النوم . واخيراً يرجع الى منزله . . . وعندما استعرض صفحة نهاره هذا الذي لا يختلف عن اي نهار من حياته السالفة ، عصفت في نفسه موجة من الحنق واهتاجت في رأسه شتى الافكار والصور تحطم ذاته وتمعن فيها عسفاً وارهاقا ، فما شعر قبل ليلته هذه بمثل ما يتسلط عليه الآن من نقمة وكره وثورة وملال ويأس . . .

فليست هي المرة الاولى التي يعرف فيها ضنى نفسه وما تسام من مرارة العيش وعذاب الحياة ، ولكن كان يدرك في كل لحظة ملابسة الظروف وعتو الاقدار التي لا مفر له منها ما دام عليه واجب تجاه اسرته ونفسه يضطره الى الرضوخ لهذا الحكم الصارم الذي فرضه عليه القدر . . .

لقد طوّح به الزمن وهو يافع ليرميه في (القناصة) بعد ما سدت حوله منافذ العيش ، وهنا كان نصيبه نفخ البوق فارتضاه اول الامر حامداً حظه في هذا السبيل ، راضياً بحظه الضئيل من الدنيا التي ربما تكون قد متعته بقسط زائد بالنسبة لموقفها تجاه غيره من البشر المعوزين المعدمين المنبوذين ومهما يكن من أمر فقد أصبح (صاحب عمل) . . . وأخذ يمارس وظيفته بين الجنود اما واقفاً امام الثكنات واما جنب صاري العلم ، واما في مكان مرتفع — ولكنه كان في كل حال — نافخاً في هذا الصور النحاسي الاصفر اللون المطوي انبوبه على بعضه دورة واحدة والذي ينتهي بانفراجة كبيرة اسطوانية الشكل . وكان في البدء يقوم بالتمارين العسكرية والتجارب الاعتيادية التي تفرضها حياة المعسكر على بقية رفاقه الجنود ، ولكنه أعفي من ذلك فيما بعد نظراً لما شوهد من ضعفه الجسماني ولما اعتراه من اجهاد وضنى وانحلال ، فاستبقي للنفير فقط لاتقانه ضرب الحانه المطلوبة ولاعتياده النفخ فيه . وهكذا ظل على عمله الهين والرتيب المؤنس في ذات الوقت ، الى ان لقي في طريقه احدى (بنات الحلال) فارتبط معها برباط مقدس ومنذ ذلك الوقت سمح له بأن ينام خارج الثكنة على ان يكون فيها عند الوقت المطلوب .

واخذت الايام والسنين تطوى وتتكدس وهو لا يشعر بها او يعرف عن مرورها شيئاً سوى ما يشاهده احياناً من مظاهر

الابتهاج والحبور التي تدله على أن هناك عيداً من الاعياد .

ها هو الآن بعد ما صدمت آماله العريضة ، يجد نفسه لا يزال واقفاً في مكانه الذي وصل اليه منذ ردح من الزمن بينما يتلاحق الناس في سباق لا نهائي وكلهم يسعى الى تحقيق هذا الوهم الحافز الذي يدعونه الامل . اما آماله هو فقد استحارت منذ زمن الى انفاس واهية تذهب مع صوت النفير ويذروها الهواء في مرامي مجهولة . لقد أصبح آلة جامدة تؤدي حركة واحدة لا تتبدل ولا تتغير . وبوده لو تحمله طائرة الى اقصى الاعالي ثم ترميه الى الارض فلعله يلقى بذلك بعض التغيير والانتقال . . . آه كيف الخلاص من هذا البوق اللعين الذي يقاسمه الحياة والانفاس . . . كم يتمنى لو يسرق في يوم من الايام ، او يتعطل فلا يصلح ، او يكسره فيتحطم . . . ولكن . .

عندما طفحت نفسه بهذا القدر من الفوران العارم كان قد وصل الى الثكنة دون وعي ، فحيا حارس الباب تحية جافة وانساق الى الداخل كما يساق العصفور الى القفص ، ودخل احدى الغرف منتظراً الوقت المحدد لاداء مهمته ، وفي غضون هذه الساعة المتأخرة من الليل فاجأه قائد الفرقة قائلا :

لقد جاءت الاوامر منذ لحظة تطلب الى فرقتنا التوجه الى الحدود في هذا الوقت هيا واعلن الآن نفير الاستعداد للسير .

بهت سجعان لهذا الخبر الغريب ، فهذه المرة الاولى التي يطلب الى فرقته ان تذهب الى مكان بعيد عن مركزها ، ولكنه لم يدع تفكيره يغوص في الاسترسال والاحتمال بل تناول بوقه وخرج ليعطي الصوت المطلوب . . .

انتظمت الصفوف ، وهيئت المعدات والاسلحة ، واصطفت السيارات ، وعلا الهرج والموج ، واصدرت الاوامر والتعليمات من الضباط الى جميع الطلائع . . . وهو لا يفهم من ذلك شيئاً سوى أنه في حياته سيمر تبدل لا عهد له به وان الفرقة مقدمة على امر جلل لا شك هو الحرب بعينها وخوض غمرات القتال ، وان خط النار اصبح على أبواب البلاد . وبعكس ما يُنتظر من استيلاء الخوف او القلق عليه ، فقد ارتاحت نفسه وهدأت هواجسه الثائرة وبرد غليان فؤاده الناقم على حياة الركود والسكينة ، المستشعر بالملل ، والعنت لتحمل لون واحد من الوان المعيشة الساجية . . . وركب احدى السيارات مع الراكبين ، وهدرت المحركات وانطلقت العجلات تطوي المسافات الطويلة والجميع واجمون لا ينبسون . . .

دارت رحى المعركة ، تطحن الانفس بالعشرات وتصيب الخلق بالمئين ، وتبذر الفظائع الهائلة ، وتطبق اقسى الغرائز البشرية الوحشية ، فتختلط حشرجة القتلى بدوي المدافع والرشاشات ، وانات الجرحى بأزيز القنابل والدبابات ، وتضيع الاذهان ويفقد الوعي ، وتستحيل كتلة البشر الى جحيم لاهب مضطرم ، قد اختلط فيه الحابل بالنابل ولا من مفر . وكان صاحبنا قد انغمس في لجة هذا التيار الساحق ، وذاق من ويلاته الامرّين ، وشاهد بأم عينه فرص الموت الرخيصة تكاد تجرفه معها الى الابدية لولا حماية من قدر وتحايل من خطر . اذ أن مهمته في هذه المعمعة ، وقد صمت صوت البوق ، كانت ملازمة ،طلق احدى الرشاشات وتقديم الذخيرة له . فرأى الابطال تسقط صرعى من حوله والرصاص ينهال من فوقه ويمر بجوانبه ولكنه كان مستسلماً لهذا الواقع المرير مغتبطاً في قرارة نفسه بدنياه هذه لانه على الاقل خلص من عيش الملال ومن مصاحبة شيطانه الاصفر البغيض ، ولئن يفنى في ساحة الوغى احب اليه من الفناء في حياة رتيبة تسير على نمط واحد . . . ان شعوره باليأس والامل اصبح متقارباً جداً ما دام مركزه في العالم قد كتب منذ أمد بعيد وليس بامكانه الطموح الى اعلى منه وهو ان زال او بقي ، عنده وعند الناس سيان . ولكنه اخذ يذكر امرأته وأولاده وبدأ الحنين الى سالف عيشه يتسرب الى نفسه وتدب فيه من جديد حرارة العزم والجهاد في سبيل الحياة ويقوى امله بالمستقبل المجهول وبصباح ابلج يعقب هذا الليل الداكن . .

وعنف القتال ، وطال الجهاد ، وامتد الانتظار وغفا السلام وماع سير الزمان . الى ان أعلنت الهدنة ، بعد كر وفر بين المتحاربين وصدر الامر برمي السلاح ، فنهض الجند من غمرتهم مضعضعين والهين ، يتحسسون أجسادهم فلا يصدقون ، ويمشون بين الاشلاء كالمجانين ، وهم تواقون الى تذوق عيشهم القديم في احضان السلام والامن وقام سجعان البوري من خندقه وقد أضرمت في داخله نار من الوجد والاشتياق الى الماضي ولو كان كئيباً . . . وبينما هو يتخطى الجثث لمح عن بعد شيئاً اصفر قد غمره التراب سرعان ما التقطه بلهفة ووله . فاذا هو بوقه الذي عاشره ردحاً من السنين قد التوى انبوبه وصدأ لونه وانشقت انفراجته ، ومع ذلك أخذ ينفخ فيه بينما بقايا الفرقة تعود مبعثرة الى حياة الدعة والسلام . . .

— تاتا تاتا راتتا تاتاتا . . . تاتا تاتا راتتا تاتا تتا . . .

اديب مروة

في احدى صحف بيروت « الغراء » مقال عاطفي احيى ذكرى اديب فقدناه ، يوم استكمل عناصر العبقرية وبتنا نرجو ان ينفح الادب العربي المعاصر بنتاج يخلده فيه ، ويسمو به الى مرتبة الآداب العالمية .

قرأت هذا المقال فذكرت ذاك الانسان البائس ، الذي عاش متألماً، في روحه وفي جسده ، سحابة عمره القصير حتى اذا صهرت الآلام نفسه، وبلورت مصاعب الحياة روحه ، وركزت عقائده ، ومثله العليا، في الحق وفي الواقع ، انقلب انساناً ساخراً ، يهزأ من كل شيء ، ويسخر بكل شيء ، حتى بهذه اللغة التي امتلك زمامها ، وطاوعته ، فاذا عمر فاخوري —وهذا اسمه — من امهر الكتاب ، واقدرهم، يلعب بالكلمات لعباً خاصاً، ميّز اسلوبه بطابع شخصي ، تعرفه به وان لم يوقع ما كتب ، وتسمع من ورائه صوته ، وان لم يقرأ عليك ما خط قلمه .

اقول ذكرني هذا المقال بعمر ، ورأيه في هذه اللغة التي يزعمون انها صعبة ، صعبة جداً ، كما يقول بعض المستشرقين ذاك ان كاتب المقال قد وقع اسمه هكذا ، ولعلها الحروف الاولى منه ، ميم . زين . نون .

ولا اعتراض على الحرف الاول ، لان لفظه كما ورد صحيح . ولا اعتراض على الحرف الثالث لانه اسم هذا الحرف بالذات . اما الحرف الاوسط فاسمه (زاي) لا (زين) ، على ما اعلم منذ تعلمت اسماء الحروف .

وقد ذكرت ، كذلك ، هاتين الحكايتين : حكاية معلمي في المدرسة الاولى، وحكاية المستشرق الكبير . . . عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية .

اما الحكاية الاولى فتتلخص في ان ذاك المعلم —رحمه الله— كان يحب المزاح، ويعتبر افضل اساليب التربية والتعليم اسلوباً يرغب الطالب في ما يدرسه ، ويحبب اليه المادة التي يدرسها ، ولو كان اسلوب (خبّص تصل) اي اسلوب بعض الساسة ، والمرشحين للنيابة . فقال لنا ، ذات يوم ، ونحن خليط من المجتهدين والكسالى : « العلم كله هو ان تحفظوا حروف الهجاء ! » فنظر بعضنا الى بعض، واعتزمنا حفظ الحروف كلها في ليلة واحدة .

وفي اليوم التالي سمّعنا درسنا درجاً ، دون تلعثم ، فصفّق المعلم لاشدنا كسلًا ، عادة ، وافصحنا في ذلك اليوم لساناً ، ثم قال : « ليس المهم ان نحفظ الحروف ، بل ان نتعلم كيف نستعملها ، ومتى ، واين . . . »

والحكاية الثانية ، حكاية المستشرق الكبير . . . فقد راح يتبسط في ذكر الصعوبات التي تعترض من يدرس اللغة العربية ، ويأتي بالشواهد والامثلة ، مستعيناً بالمتر والسنتيمتر ، وغيرهما من المقاييس الحديثة، لبيان وجهة نظره ، والتدليل على صحة نظريته ، مقرراً في الختام ان طالب هذه اللغة بحاجة الى مدة خمس سنوات كي يتمكن من قراءة نص بسيط، قراءة صحيحة . اما ان يفهم ما يقرأ فتلك مسألة اخرى . . .

وفي اعتقاد المستشرق الكبير ان فهم ما يقرأه المطالع باللغة العربية يجب ان يسبق القراءة، بمعنى ان القارىء بالعربية بحاجة الى فهم ما يقرأ اولاً ليقرأ ما يقع عليه بصره ، ثانياً ، بعكس القارىء باية لغة اخرى ، يقرأ اولاً ثم يفهم ثانياً .

وكان عليّ ان اقول لحضرة المستشرق الكبير : « بل ان عشرين سنة لا تكفي! وانا اعرف اشخاصاً انصرفوا الى دراسة هذه اللغة مدة ربع قرن، وهم حتى الان اذا كتبوا اخطأوا ، واذا قرأوا لحنوا » . فاشرقت معالم وجه المستشرق الكبير ، وراح يأتي بالامثلة الجديدة ، ليثبت ما قلته له باسلوب علمي ، بالطبع ، يعتمد على المقاييس والاوزان . ساعة استأنفت حديثي بهذه الجملة : « ولكنني علّمت ابنتي —ابنة ست سنوات— ان تقرأ وان تفهم ما تقرأ ، بهذه اللغة التي كانت تحبها كما يحب الصغار لغة امهاتهم بمدة . . . عشرين يوماً ! »

حينئذ صمت المستشرق الكبير ، وهو يتمتم كلمات لم اتبينها ، لانها لم تخرج من بين شفتيه المتقلصتين — يأساً او غيظاً .

ذكرت هاتين الحكايتين ، ساعة قرأت حكاية صاحب المقال في (بيروت—المساء) الغراء وقلت : « لو ان معلمي الاول ، رحمه الله مرة ثانية ، رأى هذه (الزين) ، مكان (الزاي) ماذا كان يقول، باسلوبه المرح ، وسخريته اللاذعة ، وهو من هو ، من ابناء القرن المنصرم، ونحن من نحن ، في اواسط القرن العشرين ، والحديث على كبير من الادباء المعاصرين الساخرين .

ثم قلت لنفسي : « لا شك ان مقاييس السادة المستشرقين، ومن يتابعهم مستمدة من هذه المشاهدات، كما يستمد الباحث حقائق العلم من ملاحظاته فهو يرى كل جسم يسقط ، ثم يتجه الى الارض ، فيستنتج قانون الثقل والجاذبية . وهكذا يرى المستشرق الكبير نفسه بالذات لا يستطيع ان يقرأ الا ان يفهم ، او هو لا يفهم ما يقرأ لانه لا يتحسس بحس ابناء هذه اللغة الاصيلين ، ولا يدرك الجو الذي كونته الكلمة لنفسها، وحول نفسها، على مر العصور، فيقول : « ما اصعب هذه اللغة ! لا يفهم المرء ما يقرأ فيها ! او هو لا يقرأ الا ان يفهم ! »

وشبيه بهذا المنطق، منطق الذين يهملون دراسة لغتهم ، او هم يريدون بلوغ معرفتها بايسر سبيل ، واضعف جهد ، اعتماداً على انها لغتهم ، التي يتكلمونها وان مشوهة ، في حياتهم الجارية ، فيتساهلون بما يتساهلون به من اخطاء ، لو اقترفت في اية لغة اخرى ، لعدّ مقترفها جاهلًا ، لا ثقافة عنده . وما قولك في رجل يلفظ اسم الحرف الثاني مثلًا من الابجدية، (بو) بالانجليزية ، وهو (بي) او (با) بالفرنسية وهو (بيه) ؟

ان عذر المستشرقين ومن اليهم واضح ، فهم لا يتكلمون لغتنا ، ولا يسمعونها ، ولا يقرأونها الا في كتب صفراء غالباً . ولكن ما عذر متأدبينا اذا اقترفوا اخطاء المستشرقين بالذات ؟

رحم الله معلمي الاول ، ورحم عمر فاخوري . فقد جمع بينهما هذا الجزء الساخر من الاطفال « المبتدئين » ومن هؤلاء « الرجال » المنتهين، كما جمع بينهما الموت . ومن يدري فقد يكون جمع بينهما كذلك هذا القبر — البيت الضيق الذي يتسع للاصدقاء والاعداء على حد سواء .

رشاد المغربي دارغوث



روح وجسد

للاستاذ عبد المعطي المسيري – ١٣٠ صفحة – مكتبة البنا – دمنهور مصر

كتاب قيم ما في ذلك شك ، يستطيع مؤلفه ان يعتز به ، واستطيع انا ان اهنئه عليه ، واقول ذلك وانا اعني ما اقول ، فليست القصة كما يظن البعض هي تلك الغلالة الرقيقة التي تريك من خلف نسيجها الشفاف ما يستثير غرائزك وليست هي الزجاج المصقول الذي ترى من خلفه الشواء طازجاً فيسيل لعابك . ليست القصة كما يظن بعض الجهلاء ومن بينهم بعض الذين يكتبون القصة انفسهم ، تنهض على اثارة الغرائز وايقاد جذوات الجسد .

القصة هي لمحة من لمحات الذهن المرهف الوقاد ، وومضة من ومضات العقل الحصيف الذي يميز بين الاشياء ويسبر غور القيم ، وخفقة من خفقات القلب المتيقظ الذي ينبض بالخير للانسانية وبالحب لهذا الوجود الذي يعيش فيه .. هي العدسة الدقيقة التي تسجل ما ينعكس عليها من المرئيات ولا تسجل الا ما يستحق التسجيل ، وهذه العدسة هي روح الفنان الذي تذوق الفن وفني فيه ، والصورة التي تلتقطها هي – القصة – الناجحة بكل ما في النجاح من معنى دقيق . وليس من الحتم ان يكون كاتب القصة الناجحة من البلاغيين ، ولا ان يكون من ائمة البيان وجهابذة اللغة ، فقد يكون من بين هؤلاء ، من يقف مكتوف اليدين امام قصة واحدة ، حتى ولو كانت نصف ناجحة ، والدليل على ذلك هو ان كبار الكتاب عندنا ، والذين بلغوا شأواً كبيراً في عالم الادب ، عجزوا حتى الآن عن ان يقدموا لنا قصة واحدة يستطيع الناقد المنصف ان يسميها قصة ، في حين انك تجد من هم اقل شأناً من هؤلاء ، اصبحوا من اعلام القصة الناجحة ، وبلغوا فيها شأواً يستحقون من اجله كل ثناء وتقدير .

اذا استطعت ان تفهم القصة على هذا النحو الذي حدثتك عنه ، استطاع صاحب هذا الكتاب ان يظفر منك ، كما ظفر منا ، بكل تقدير واعجاب .

على الرغم من انك لن تجد في هذا الكتاب من البلاغة او البيان ، او التنميق اللفظي شيئاً يستهويك ، ذلك لان القصة ليست كما قدمنا هي في البلاغة والبيان ورصف الجمل ولا اقول رصها ، فستجد في هذا الكتاب انساناً مرهف الحس ، سليم الطوية ، يأمل في الانسانية الخير ، ويعقد على نفسه الرجاء في الدفاع عنها . وستجد ايضاً في هذا الكتاب ميزة قلما تجدها في كتاب مماثل ، وهي الدقة في اختيار مواضيع القصص . ففيه اثنتا عشرة قصة كلها منتقاة ، استطاع المؤلف في بعضها ان يكون قاصاً بارعاً ، بحيث يستميلك اليه في يسر ، ويشركك معه في سرائه وضرائه ، فتضحك معه ان اراد ان يضحك ، وتبكي معه ان اراد ان يبكي وهذه ميزة القاص المطبوع الذي استوعب فن القصة وفهمه على وضعه الصحيح . ففي قصة «روح وجسد» التي صدر بها الكتاب ، ترى لوناً يختلف كل الاختلاف عن اللون الآخر . فبينا هو يسف مع معشوقته راضياً ، ويعذب نفسه في سبيل الحصول على تلك اللحظة التي عقد القلب الرجاء عليها ، تجدك دون ان تدري مسفاً معه ايضاً ، متعباً نفسك اكثر منه ، لعلك تسبقه الى تلك اللحظة . وبعد ان يظفر بها ، ويعود آسفاً على ذلك الجرم الذي تورط فيه ، تجدك ايضاً عائداً من قلقك نفسك ، ولكن اشد منه اسفاً وحزناً . وكذلك في غير هذه القصة من الكتاب .

بيد ان للاستاذ المسيري طريقة خاصة في عرض بعض قصصه ، قد لا تظفر برضا بعض القراء ، وان كان من الحتم على القاص الناجح ان يرضي كل القراء ، بحيث يضع على فنه من التوابل ، ما يسر النهم الأكول ، ويرضي المريض الممعود ، وذلك بان يعنى بالتحليل ، ويأبه كثيراً بالخلجات النفسية التي تعتمل في نفوس ابطاله ، اكثر من عنايته بالصياغة وابراز الفكرة ، فالقصة كما قدمنا ، ليست في صياغتها وفكرتها فقط . وانما هي وقبل كل شيء في التحليل للعوامل النفسية التي تعتلج في قلب الكاتب ، وتختلج في نفوس الابطال الذين يخلقهم . للكاتب الفاضل – ولاسيما في هذا الكتاب – افكار لا يمكن ان يستوعبها الا الذهن المرهف والحس الدقيق . فمثلاً في قصته «الشرف» فكرة رائعة يستحق الكاتب عليها منا كل ثناء وتقدير وفيها ايضاً عقدة نفسية جديرة بالوقوف عندها طويلاً ، ولكن – ولست ادري – لماذا انهى المؤلف هذه

القصة عندما بدأها.

تتلخص هذه القصة الرائعة، في ان فتاة تبيع اليانصيب على الناس ولا مر ما كانت بائسة، ولامر ما تتعقد حياة البائسين من الناس، وتكون اشد تعقيداً من البؤس نفسه، ولهذا تعقدت حيـاة – سكينة – التي خلقت حرة، والحرة لا تأكل بثدييها كما يقول المؤلف، وفجأة تغيب سكينة عن المدينة، وفجأة عادت ايضاً، ولكن بعد ان اضطرتها الظروف اضطراراً لان تأكل بثدييها، بيد انها لم تستهوها الجريمة الا بعد عودتها بايام، وبعد ان وجدت آثارها ما زالت باقية، وما زالت تنمو يوما عن يوم. فلم يسعها الا ان تلقي بنفسها في النهر. وتصادف ان غاب ابوها عن المدينة في هذا اليوم ولم يعد الا بعد أن انتشلت الجثة، وعرفت اسباب الوفاة والدوافع عليها. واتهم الاب البريء بقتل ابنته، وانكر الرجل التهمة، بيد انه عاد فجأة وتذكر – شرفه – فوجد انه من الخير وان لم يكن القاتل، ان يكون قاتلا، ولذلك تقدم الى ساحة القضاء قائلا: « انا الذي اغرقتها ».

والآن اظنك معي في ان فكرة هذه القصة رائعة كل الروعة. ومعي ايضاً في ان المؤلف انهاها عندما بدأها لان القصة كان يجب ان تبدأ بعد الجريمة، وان بطلها كان يجب ان يكون الاب الذي باع نفسه ليشتري شرفاً، وليست الفتـاة التي كانت حرة فأكلت بثدييها.

وهذه اشياء لولم يكن الكتاب قيما لما تحدثنا عنها، ولو لم يكن المؤلف قد رسم لنا فيه خطوط الكمال. لما طالبناه بالكمال وان كان هذا لا يمنع من ان نسجل على أنفسنا في هذه العجالة اغتباطنا بهذا الكتاب، وتقديرنا لمؤلفه، هذا الاغتباط وهذا التقدير الذي نقرنه بصـادق التهنئة وخالص التمنيات لمؤلفه الكريم الذي استطاع ان يشترك بنصيب كبير في بناء القصة المصرية.

القاهرة **امين يوسف غراب**

عالمان

للاستاذ ولم زيف، تعريب منير البعلبكي -- ١٦٧ صفحة

منشورات دار العلم للملايين – بيروت

هذا الكتاب، على علاته، جدير بانتباه المفكرين الذين يهمهم مصير هذا العالم بعد ان انتهى من دور الحرب الكونية العنيف الى دورها غير العنيف الذي تحتدم نيرانه في عواصم الدول المتحدة بوجه عام وفي موسكو وواشنطن بوجه خاص. والفكرة الرئيسية التي يحاول المؤلف ان يشرحها ويثبتهـا هي ان الحرب الكونية قد رفعت الستار عن دولتين عظيمتين همـا الولايات المتحدة الاميركية وروسيا السوفيتية، تمثل كل منها فلسفة تتنافى مع الاخرى وان اصطدامها لا محالة آت عاجلا او آجلا. ويتصف الكتاب بالعنف والمغالاة احيانا. ويرتكز في نظري على الافتراض ان العالم مكون (لا سمح الله) من رجالات السلك الدبلوماسي، وهم، على تعريف البعض، رجال صادقون يتعاطون صناعة الكذب والخداع في سبيل اوطانهم. هذا الافتراض خاطيء، وان صح فعلى الدنيا السلام. وعقيدة الكاتب المادية الجبرية كذلك خاطئة ولو تمشى عليها العالم كان مصيره الدمار.

ويضطر المؤلف في تفكيره ان يوجد كبشاً للمحرقة يحمله اللوم مهما كلف الامر، فيلقي عليه تبعة التنافر وسوء التفاهم المتبادلين بين الولايات المتحدة وروسيا، فيرمي ذلك على عاتق بريطانيـا متهماً اياها باستغلال الولايات المتحدة لمآربها الاستعمارية. وحقيقة الامر ان الشيوعية الروسية لا تريد التعاون مع الولايات المتحدة أو غيرها ولا تزال ترمي الى نشر الدعوة الشيوعية في جميع انحاء العالم بالطرق المشروعة احيانا وباساليب الطابور الخامس في اكثر الاحيان. اما الولايات المتحدة فلا تزال تتردد بين تحمل اعبـاء المسؤوليات التي القاها انتصارها للديمقراطية على عاتقها وما يرافق ذلك ويتبعه من تبعات خطيرة لا تتلاءم مع تقاليدهـا الانعزالية وبين العودة الى العزلة وما يترتب على ذلك من اخطار. فالمؤلف، على عنف تفكيره وشدة محاولاته، لا يدرك من الامور ما هو ابعد من ارنبة الانف.

اما الترجمة فتمتاز بالمحافظة على روح الكتاب الاصلية وبدقة المعنى وحسن السبك. فنحن نهنيء الاستاذ منير البعلبكي على جهوده الفردية وعلى جهوده في دار العلم للملايين وعلى ما ترمي اليه هذه الدار من توسيع آفاق القراء العرب واخراجهم من نطاق اقليمي ضيق الى نطاق عالمي واسع.

نبيه امين فارس

كتاب العرب الاحياء

للدكتور نبيه امين فارس – ١١٢ صفحة – دار العلم للملايين – بيروت

هذا كتاب العرب الاحياء، لاستاذي الدكتور نبيه فارس، أقرأه فاحس فيه روح الدكتور نفسها التي نعرفها في قاعة الدرس. روح فيها من الوداعة والظرف والتواضع العلمي مـا يجعلنا، نحن

تلامذته ، نجرأه ان نجادله رأيه في كل شيء ، ان خارج الصف او داخله ، حتى تتعدى بنا هذه الجرأة فنجادله في الصحف .

في العرب الاحياء كثير من الاشياء — فيه تاريخ — وفيه رسالة قومية — وفيه رسالة سياسية — وفيه فوق ذلك رسالة اجتماعية ودينية الى حد ما كل ذلك باسلوب ظريف فيه كثير من الظرف غير المصطنع ، وكثير من خفة الروح ، واستطيع ان اقول في اسلوب الكتاب ما يقول تلميذات الدكتور فيه نفسه (خفيف الدم) .

أما التاريخ فحقل الدكتور الاول وخاصة التاريخ العربي ، والذي احبه من الناحية التاريخية في الكتاب هو عدة تخريجات تاريخية تحل كثيراً من مشاكلنا السياسية ومن هذه التخريجات اثبات دخول العرب في حضارة البحر المتوسط وامتزاجهم فعلا بالشعوب والحضارات المتفاعلة على هذا الشاطىء مما ينفي فكرة العنصرية العربية ، ويجعل كلمة عرب ، تعني جميع الشعوب التي دخلت في هذا المزيج واظهرت ثمرة نشاطها من خلال اللغة العربية . .

والتخريج الثاني هو كون العرب أداروا ظهرهم الى الصحراء مذ نقل علي عاصمة الخلافة الى الكوفة . وهو بهذا التخريج قد نفى التخوف المتغلغل عند الكثيرين من دعوة عربية ترجعنا الى البداوة .

والتخريج الثالث هو ان العالم العربي اليوم مضطر حتماً لأن يلتفت بوجهه الى الغرب ، وهو لا يستطيع الا ان يفعل .

هذه هي التخريجات التاريخية في الكتاب التي اعتقد انها تدعو الى كثير من التفاؤل وتساعد على ايجاد اسس مشتركة للتفاهم مع الحركات التي لا تشاركه ايمانه بقومية عربية .

واما الرسالة القومية في الكتاب فهي هذا الايمان عند الدكتور فارس بوجود قومية عربية يدعو اليها بكثير من الحماس يظهر في اسم الكتاب نفسه . والدكتور كثير التفاؤل بنهضة عربية حديثة مع كونه يرى العقبات الكثيرة التي تقف بوجه هذه النهضة . وهو جريء بمحاربة هذه العقبات الى حد بعيد فيتعرض بالنقد اللاذع الى الملوك والمنظمات والطوائف غير حاقد ، بروح (سبور) اميركية .

واما الرسالة السياسية فتشتمل برنامجاً اصلاحياً من فصل الدين عن الدولة ، الى تأسيس الاحزاب السياسية على اساس العقائد لا الاشخاص — الى برامج تعليمية — الى وضع تصميم للوحدة العربية التي ينشدها . وانا بهذه المناسبة استغرب كيف يهمل الدكتور فارس ذكر الحزب القومي وامثاله التي حققت في منظماتها ما تدعو اليه الحاجة من الاصلاح ، واستغرب قوله : « ولا يكاد يوجد في العالم العربي حزب من هذا النوع . » أي يقوم على اساس المبادىء لا الشخصيات . فقد لا يتفق الدكتور مع الحزب القومي من حيث العقيدة القومية ولكن ألا يعترف له على الاقل بمبادئه الاصلاحية التي نرى انها تتوازى تماماً مع المبادىء التي يدعو هو اليها ، الا يعترف بدقة تنظيمه ، وبالروح العلمية التي ركزت هذه المبادىء على اسس فلسفية اجتماعية . اما الرسالة الاجتماعية فتقوم باساسها على روح تحررية يحسها الدكتور فارس بقلبه نتيجة تغربه وحياته في جامعات اميركا واوساطها العلمية ، وهو يدعو بكثير من الجرأة الى الاصلاح الاجتماعي وخصوصاً في حقل المرأة ، ولقد أثارت محاضرته عن المرأة العربية ، في العام الماضي ، كثيراً من الضجة للطريقة الجريئة التي عرض بها حالة المرأة اليوم في العالم العربي .

اما الحقل الديني فيدخل اليه الدكتور فارس دخول المتفرج فكأنه لا ينتمي الى مذهب ولا يتعصب لعقيدة . يبحث معتقدات جميع الفئات بروحه العلمية الصرفة التي ترافق كل عمل يقوم به ، مع ان المقربين منه يعرفون عنده ايماناً دينياً يطمئن اليه ولا ينحاز عنه قيد شعرة .

هذه لمحة سريعة في كتاب « العرب الاحياء . » الذي هو صورة لانطباعات الدكتور فارس عن هذه البلاد فور وصوله اليها من اميركا . فعسى ان يوافينا قريباً بكتاب جديد يعكس لنا الصورة الثانية بعد ان استقر وتعرف الى البلاد عن كثب .

حلمي معلوف

١ — العلم وعلاقته بالمجتمع

للاستاذ ج . كروثر — تعريب الدكتور ابراهيم حلمي والاستاذ امين تكلا
٢٣٢ صفحة — لجنة القاهرة للتأليف والنشر

مؤلف هذا الكتاب عالم اجتماعي اشتغل بالصحافة والتدريس وقام بعدة رحلات وتمرس بوظائف مختلفة كان آخرها منصب سكرتير اللجنة العلمية لمؤتمر وزراء معارف الدول المتحدة الذي عقد اخيراً في لندن . وهو في هذا الكتاب انما يقرر نظريته مسلماً بها وهي ان العلم ليس اداة للبحث والكشف والاختراع فحسب بل هو وسيلة للنهضة والحضارة بما يشمل جميع مرافق الحياة الانسانية ، ويؤدي الى رفاهية المجتمع ورقيه واعلاء شأنه . فيعالج موضوعه هذا معالجة مقتضبة منتحياً التسلسل التاريخي

لوجود العلم لدى حضارات الامم المتقدمة ومبتدئاً في بيان كيفية نشوء العلم منذ فجر التاريخ ماراً باكتشاف النار وتهذيب وسائل الصيد البدائية ووسائل السحر والتعدين والري الاولى واصل الحساب والهندسة والكتابة لدى المصريين والبابليين والفينيقيين والفروض الاغريقية النظرية والنظرة الاجتماعية للعلم عند الرومان حتى يصل اخيراً الى العرب فيفرد لهم اربعة فصول متحدثاً فيها عن العلم في الاسلام وما عمله المسلمون على تقدم الكيمياء وتقدم المسلمين وذاكراً ما كان لهم من فضل على العلم والحضارة وما وفقوا اليه من اكتشافات باهرة وما كان للعلم من اثر في تطور العادات والتقاليد في المجتمع الاسلامي ... وهنا لا نستطيع الا ان نعتب على المؤلف الفاضل وهو العالم الاجتماعي باغفاله العرب واكتفائه بكلمة المسلمين والاسلام لان في هذا الشمول اغراقاً في تمويه الحقيقة وبعداً عن التجرد فالعرب بجميع طوائفهم كان لهم النصيب الاكبر في المجهود الذي نعته بالاسلامي دون اية اشارة الى العرب الذين كان لهم فضل المساهمة في بنيان الحضارة الانسانية. ولا ندري غرض المؤلف من اغفال كلمة العرب على الاطلاق في بحوثه اللهم اذا كان هناك غرض سياسي مقصود ومهما يكن فهذا خطأ لا يغتفر كان على المعربين الالتفات اليه . ويتابع المؤلف بحثه حتى يصل الى تطور العلوم في عصرنا هذا . والنظريات الاجتماعية التي تتطرق الى مختلف طبقات الامم ، ويشمل البحث كثيراً من القضايا الاقتصادية التي تشغل العالم اليوم كالبترول والذهب الافريقي والنوع الجديد من الرق وعرقلة التقدم العلمي الخ ...

وهكذا يعالج المؤلف في قسمه الاخير قضايا خطيرة لا تزال موضع اهتمام العالم اليوم بأجمعه، وجاءت معالجته على اقتضابها دقيقة مفصلة جامعة يجدر بالقارىء العربي الالمام بها والاطلاع عليها .

هذا والكتاب مصاغ بلغة سهلة مبسطة قد لا ترتفع الى درجة البلاغة ولكنها لا تنحط عن المستوى الادبي الوسط وقد ارادها المعربان وسيلة لتقريب النظريات العلمية الشائكة الى اذهان العامة والطبقات الشعبية فاحسنا بذلك صنعاً وجعلا الفائدة اعم واوسع انتشاراً ، وجاء الكتاب اهلاً للتقدير والاهتمام .

٢ _ الشمس الغاربة

للاستاذين علي عبد العظيم وحسين مؤنس – ١٨٨ صفحة
لجنة القاهرة للتأليف والنشر

يتضمن هذا الكتاب ذو القطع الصغير عدة مواضيع سياسية تدور في معظمها حول فشل مؤتمر السلام الاخير الذي عقد في باريس وعن الاسباب والمطامع التي تستعر في نفوس الدول الكبرى وادت الى فشله . وهو يعني بصورة خاصة بالتحدث عن افول نجم اوروبا كموقع للدول المسيطرة على العالم وانتقال السيطرة العالمية الى ناحيتين بعيدتين عن اوروبا احداهما في المشرق وهي روسيا والاخرى في المغرب وهي اميركا . ولعل عنوان الكتاب مستمد من هذا المعنى ...

اما المواضيع التي تتحدث عن موتمر السلام فهي مواضيع صحفية لا ندري اي المؤلفين كتبها لانه يفهم من قوله انه شهد هذا المؤتمر وتتبع جلساته وابحاثه بعناية .

هذا والكتاب لم يأت بجديد عما نشرته الصحف في حينه من وصف للجلسات وتحليل لنتائج وابحاث المؤتمر وتكون قيمته من هذه الوجهة ضئيلة ليست بذات بال .

اما من الوجهة الادبية فالكتاب بوصفه لبعض المشاهد العامة في اوروبا وفرنسا على الاخص وتصويره لمستقبل الحياة في هذه البلدان الاوروبية كشاهد ألم بها فهو موقف لا يخلو من الطرافة وصدق التحليل .

هذا واسلوب الكتاب رغم تناوله مواضيع سياسية تحليلية بالوصف والنقد لا يخلو من المسحة القصصية التي تشوق القارىء وتضفي على المواضيع روح الحوار والدعابة والمتعة الفنية .

٣ _ صحافة ام خلاعة

للاستاذ جورج بربر – ١٣٢ صفحة – المطبعة المخلصية، دير المخلص، صيدا

في هذا الكتاب دعوة مخلصة لاجتناب مفاسد المدنية الحديثة وثورة على ما يسري بين فتيان العصر من روح الدعارة والتهتك والتفسخ الاخلاقي . فأحر بشبابنا اليوم مطالعة هذا الكتاب الصغير الحجم الجليل الفائدة الذي يعالج باسلوب مبسط طريف مشاكلنا الاجتماعية واخصها الفجور والاقبال على اللذائذ والشهوات، فيحللها تحليلاً منطقياً صادقاً ثم يعرض دوافعها ويخلص الى نتائجها وآثارها الوخيمة في حياة العائلة والمجتمع ويبين مفاسدها وشرورها وامراضها .

ونحن احوج ما نكون اليوم الى بث الفضيلة في نفوس النشء في عصر يكاد يصبح التكالب على الرذيلة فيه فخراً وفضيلة . وهذا ما يحز في نفس كل غيور على مستقبل امته واخلاقها وما يدفع مؤلفنا الفاضل الى بحث هذه الظاهرة الخطرة ومحاربتها بكل قوة عن طريق العلم والحجة والمنطق . فبلغ من التوفيق مبلغاً يشكر عليه .

هذا واسلوب المؤلف سلس سهل مشوق لا يخلو من الاشراق والصناعة مما يضفي على غاية الكتاب النبيلة ثوباً من الجمال والمتعة .

٤ — مؤتمر الطلاب العرب في لندن

٦٦ صفحة — منشورات مجلة العروة الوثقى في الجامعة الاميركية — بيروت

هذا سجل لما دار من ابحاث والتي من محاضرات في مؤتمر الطلاب العرب المنعقد في الاسبوع الاول من شهر تموز سنة ١٩٤٦ في لندن ، والذي ضم نخبة من ابناء العروبة الذين يدرسون في مختلف جامعات انكلترا . وما هي غاية مؤتمر كهذا يحضره طلاب مثقفون يمثلون الاقطار العربية بكاملها ان لم تكن الدعوة الى الاتحاد والتعاون وبحث مشكلات العالم العربي اليوم . ومن برنامج المؤتمر يتضح مدى اهمية ابحاث هذا المؤتمر الممتاز الذي تناول في اليوم الاول معالجة اسس ومستقبل الجامعة العربية في السياسة الدولية وفي اليوم الثاني اصول التشريع الاسلامي وصلاحيته للمجتمع الحديث ، وفي اليوم الثالث موقفنا من الثقافة الغربية . ويحتوي هذا الكتاب على نص المحاضرات التي القاها اعضاء المؤتمر وهي ابحاث قيمة خليقة بالدرس والتعليق لما فيها من تحليل جيد ومواضيع خطيرة لها امس العلاقة بحياتنا العامة .

ولا يسع القارىء الا تقدير فكرة المؤتمر النبيلة وتقدير جهود اعضائه واخيراً تقدير جمعية العروة الوثقى التي يسرت سبيل مطالعة هذه الابحاث فنشرتها على العرب بهذا الكتاب الممتع .

٥ — انا عائد من موسكو

للدكتور جورج حنا — ١٦٥ صفحة — مطبعة الكشاف — بيروت

هذه مشاهدات طريفة عميقة أملتها نواحي الحياة الروسية على المؤلف اثناء رحلته الاخيرة الى موسكو او بتعبير اوضح هي دارسات عابرة مقتضبة للحياة في ظل النظام الشيوعي عني بها المؤلف عناية الرحالة المتفرس والمشاهد المستطلع فجاء منها هذا الكتاب ذو الحجم الوسط يعطي القارىء صورة واضحة عما — دعاه الناس عندنا — بما وراء الستار الحديدي .

ان الحياة في الاتحاد السوفياتي بالنظر لتضارب السياسات الدولية في محيطنا لم يتح لنا نحن العرب الاطلاع الكافي عليها بصدق وتجرد وما برحت صورتها مشوهة قد لا تتفق والحقيقة . حتى طلع علينا في نظرنا في المدة الاخيرة الدكتور جورج حنا — امين سر المؤتمر الوطني — بكتابه هذا « انا عائد من موسكو » فاذا به يجلو عن الحقيقة بعض الغشاء مما علق بها من الاوضار والاوشاب .

يتناول المؤلف في هذا الكتاب بالوصف والتحليل شتى النظم العامة والخاصة التي يتبعها الروسيون في معيشتهم من نظام في السكن ونظام في العمل ونظام في التجارة والطب والزواج والزراعة الخ . .

فكل شيء في روسيا هو رهن النظام وقد لا تدهشك دقة وصرامة هذا النظام الذي يأخذ على المرء جميع مسالكه اذا علمت انه لا ميزة للوزير على اي فرد كان ولا محسوبية في الدولة ولا مسامحة عن مخالفة يرتكبها رئيس او موظف في الاتحاد السوفياتي او بكلمة اوضح ان كلمة فوضى لا اثر لها البتة في روسيا .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن ركني النظام السوفياتي وهما : المعمل ، وتأميم الزراعة . ثم عن التجارة في المختنق اي ضمن الحدود التي تكفل رفاهية الشعب وتدني اسباب المعيشة . وعن مكافحة الامية ونشر التعليم وعن الطب والمرأة والطفل والاسرة كل ذلك باسلوب فيه كثير من الامثلة والمشاهد التي صادفها المؤلف وتحرى عنها واحتك بها .

وكانت عناية المؤلف وهو طبيب منصبة ، بصورة خاصة على التحدث عن تقدم العلوم والمعالجة الطبية في روسيا فكان الفصل الذي افرده عن الطب ممتعاً شائقاً طويلاً .

وقد شرح المؤلف في ختام كتابه مفهوم الديمقراطية عند الروس والانكلوسكسون وحلل ما هناك من فرق شاسع بين الفلسفة الماركسية والرأسمالية الحرة ، وبين بطريقة جدلية انتظام الامور بحكم الحزب الواحد ودكتاتوريته ، وفوضى تعدد الاحزاب وتحكم الاكثرية بالاقلية . ولعل المؤلف هنا متأثر باحكام الشيوعيين على انفسهم فجاء بحثه اقرب الى التقريظ والدعاية منه الى التحليل الصحيح المنطقي .

هذا هو مجمل الكتاب الذي وصف الحياة الروسية وصفاً دقيقاً ممتعاً وحلل اغلب النظم الاجتماعية التي يسير عليها الناس هناك وعقب اخيراً على هذه النظم ، فوقف المؤلف منها موقف الشاهد المقرظ بدلاً من ان يقف موقف المنتقد ، اذ اني لم اعثر مع احترامي لنزاهة المؤلف على وقفة انتقاد واحدة او لفتة الى نواحي النقص في تلك البلاد لان النظام الشيوعي مهما بلغ حد الكمال من التطبيق في روسيا لا يخلو من هنات ونواقص كان يجب اطلاع القارىء عليها ما دام المؤلف في معرض الصراحة والنزاهة .

ومهما يكن فالكتاب هو الاول من نوعه يطلع العرب على ناحية مجهولة من حياة شعب يعد من اكبر الشعوب في العالم يعيش اليوم تحت سيطرة حزب واحد ونظام واحد وفكرة واحدة .

اديب مروة



٢٥ نيسان – اعلن جورج مارشال وزير خارجية اميركا للصحفيين فشل مؤتمر موسكو في تدبيج المعاهدة النمساوية والاتفاق على معاهدة رباعية تكفل نزع السلاح من المانيا . والقى تبعة الفشل على عاتق الاتحاد السوفياتي .

٢٦ – اتهم المستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية المستر تشرشل رئيس المعارضة بانه جلب المصائب لبريطانيا اثناء خدمته لها، وان اعماله هذه قد سببت ازمة في صناعة التصدير وانتاج الفحم .

١ انوار – اتهم هنري والاس الرئيس ترومان بتأييد ديغول لطرد الشيوعيين من الحكومة الفرنسية ، كما اتهم تشرشل بانه البريطاني الوحيد الذي يدعم هذا الاتجاه في سياسة اميركا الخارجية .

٢ – رفضت الجمعية العمومية طلب الوفود العربية بادراج الغاء الانتداب البريطاني على فلسطين ومنحها الاستقلال التام باكثرية ٢٦ صوتاً ضد ١٥ وتمنع ١٠ اصوات .

– وجه ١٥ نائباً من نواب العمال كتاباً الى الحكومة البريطانية يناشدون الحكومة في مقاومة سياسة ترومان لمناهضة الشيوعية ويقترح اصحاب العريضة ان تحدد الحكومة البريطانية موعد جلاء جيوشها عن مصر .

٤ – اقترحت الولايات المتحدة السماح للوكالة اليهودية بالاعلان عن وجهة نظرها امام اللجنة السياسية .

٥ – اقترح مندوب يوغوسلافيا بان يمثل اليهود والشعوب الاخرى التي تقطن البلاد الفلسطينية في اللجنة السياسية .

٦ – اصدرت المحكمة العسكرية الحليفة في ايطاليا الحكم بالاعدام على الفيلدمرشال كيسلرنغ القائد الاعلى السابق للقوات الالمانية في ايطاليا .

– سحبت الهيئة العربية العليا الطلب الذي كانت قد قدمته للادلاء برأيها امام اللجنة السياسية احتجاجاً على اعتراف الجمعية العمومية لليهود بمثل هذا الحق .

٧ – أبرقت لجنة التحرر في شمال افريقيا رسالة الى هيئة الامم المتحدة بان يسمح لها بابداء رأيها في قضية فلسطين ، وقعها الحزب الوطني التونسي والحزب الوطني الجزائري وحزب الاستقلال المراكشي ولجنة الدفاع عن شمال افريقيا

٨ – وافق مجلس الكونغرس على مشروع مساعدة تركيا واليونان باكثرية الاصوات .

١٢ – صرح وزير المستعمرات البريطاني بان ليس في نية الحكومة البريطانية ان تغير موقفها ازاء سماحة الحاج امين الحسيني .

١٣ – استقدمت الهيئة العربية العليا في فلسطين مدرباً خاصاً من مصر لتوحيد منظمتي النجادة والفتوة والاشراف على ادارتها .

– رفضت اللجنة السياسية لهيئة الامم المتحدة باكثرية ٢٦ صوتاً ضد ١٥ صوتاً التعديل السوفياتي الهندي المشترك الذي يقضي بادخال نص صريح على شروط تاليف لجنة التحقيق يوجب على هذه اللجنة اعلان دولة ديمقراطية مستقلة في فلسطين وامتنعت ١٢ دولة عن التصويت .

١٥ – القى المستر تشرشل خطاباً في لندن طالب فيه زيادة التعاون بين بريطانيا وفرنسا كاساس لمشروعه المشهور الذي يدعو فيه لتأسيس ولايات متحدة اوربية .

– اتهم هنري والاس حكومة ترومان باستغلال « بؤس اوروبا لاهداف سياسية » ، وشجب مساعدتها العسكرية لليونان وتركيا .

١٦ – عزا المستر بيفن فشل مؤتمر موسكو الى الصحافة التي حالت دون نجاح مؤتمر وزراء الخارجية في انجاز معاهدة الصلح .

١٧ – اذاعت القيادة العامة الاميركية بلاغاً جاء فيه : ان الاخصائيين والعلماء الالمان الذين يعملون الآن في الولايات المتحدة قد مكنوا هذه البلاد من احراز تقدم ست سنوات على سائر الامم في بعض حقول العلم والاختصاص

١٩ – اقترح نائب الملك في الهند اللورد مونتباتن تقسيم الهند الى دولتين اسلامية وهندوسية ولكل منها جمعيتها التأسيسية الخاصة .

٢٠ – اعلن ان ضباطاً اميركيين يقومون بتدريب افواج من اليهود لانزالهم في فلسطين بالمظلات . وقدم السفير البريطاني في واشنطون مذكرة شديدة اللهجة بشأن نشر الاعلانات وجمع التبرعات لمساعدة المهاجرة اليهودية في فلسطين .

– دعا الحاج امين الحسيني الهيئة العربية الى مقابلته في القاهرة ، وسيدرس معها قضية مقاطعة لجنة التحقيق التابعة لهيئة الامم المتحدة .

٢٢ – ابرق مراسل رويتر من موسكو يكذب ما اشيع عن محاكمة المرشال جوكوف بتهمة التآمر ضد الاتحاد السوفياتي .

– اصدر الرئيس ترومان مرسوماً منح فيه الجنرال مارشال حق الاشراف التام على جميع الشئون المتعلقة بمساعدة اميركا لليونان وتركيا

٢٤ – قبل اليوم دي غاسباري زعيم الحزب الديمقراطي المسيحي الايطالي تشكيل الحكومة الجديدة .

– اذاعت وكالة تاس ان محاولة جرت في هلسنكي عاصمة فنلندا لاحراق بناية السفارة السوفياتية .

٢٥ – جرت الانتخابات النيابية في لبنان وقد انسحب جميع نواب بيروت الذين ليسو في لائحة الحكومة من المعركة احتجاجاً على تدخل السلطات والتزوير والضغط .

٢٦ – اعلن الرئيس رمادييه تجنيد جميع العمال الفرنسيين المستخدمين في صناعات الغاز والكهرباء على اثر التهديد بالاضراب العام .

– اعد الرئيس ترومان مشروع قانون بتقديم المساعدات المالية والعسكريه لولايات اميركا اللاتينية التي تعتنق مبادىء ومثل الولايات المتحدة .

– عقدت الولايات المتحدة اتفاقية تقضي بمنح اليمن اعتماداً مالياً بمليون دولار لشراء ما تحتاج اليه من المخلفات الاميركية .

٢٧ – تباحث الخبراء الاميركان مع وزير الحربية التركية ورئيس اركان حرب الجيش عن تطبيق المساعدة الاميركية وما زالت تفاصيل المباحثات سرية .

٢٨ – عقد المستر اتلي رئيس الوزارة البريطانية اجتماعه الاخير مع اللورد مونتباتن نائب الملك في الهند للبحث في مشروع تخلي بريطانيا عن سلطاتها في الهند الى الهنود .

– وجهت الحكومة السوفيتية مذكرة عنيفة الى الحكومة الفرنسية تتهمها بوضع العراقيل في سبيل عودة ١٢ ألف روسي الى وطنهم .

٢٩ – اجمعت الصحف اللبنانية في حملاتها ضد الحكومة على ان الانتخابات النيابية مزورة وجرت في جو من الضغط والارهاب .

– ترفض جميع الاحزاب السياسية والمنظمات والنقابات والشعب في لبنان الاعتراف بالمجلس النيابي الجديد .